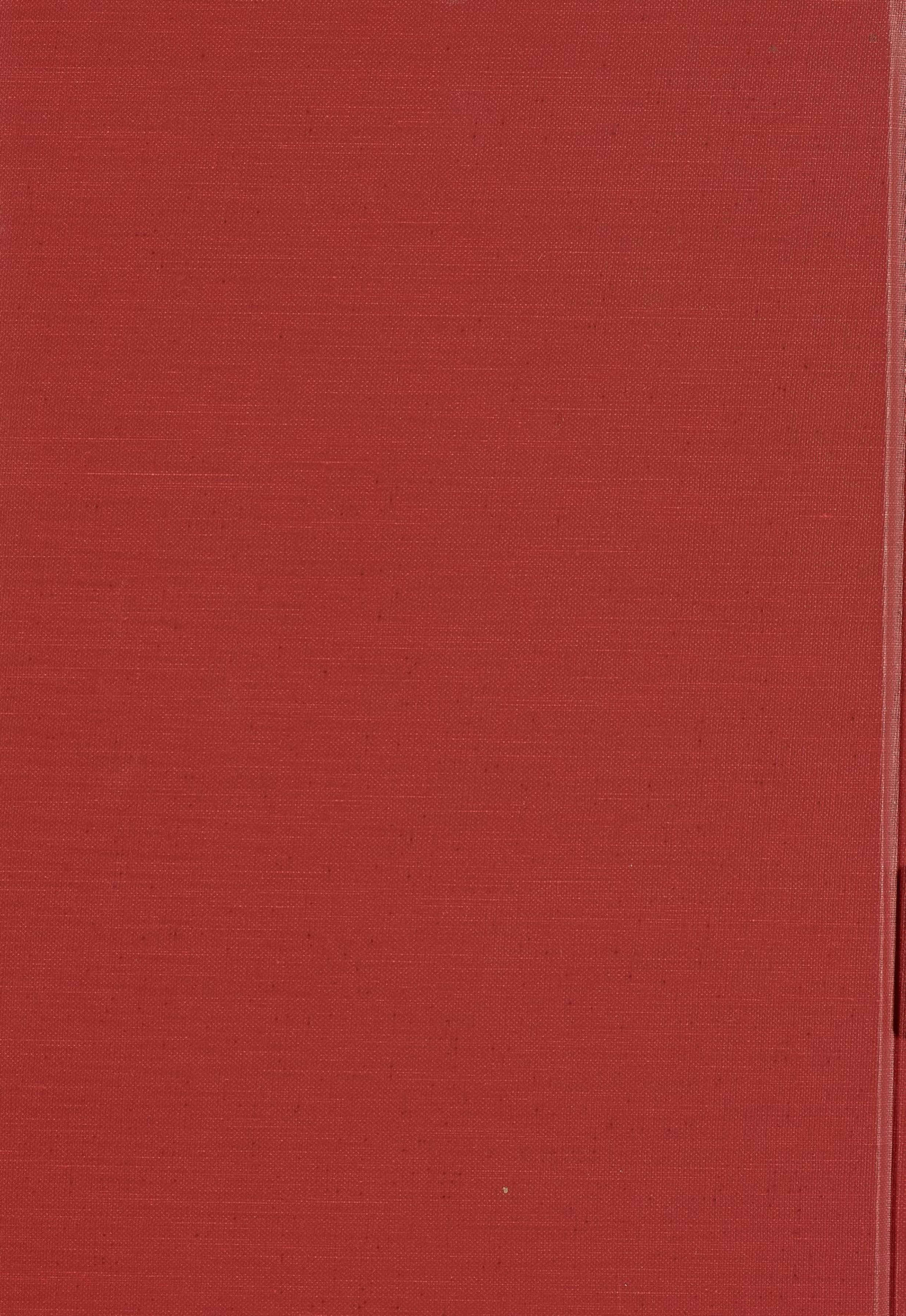
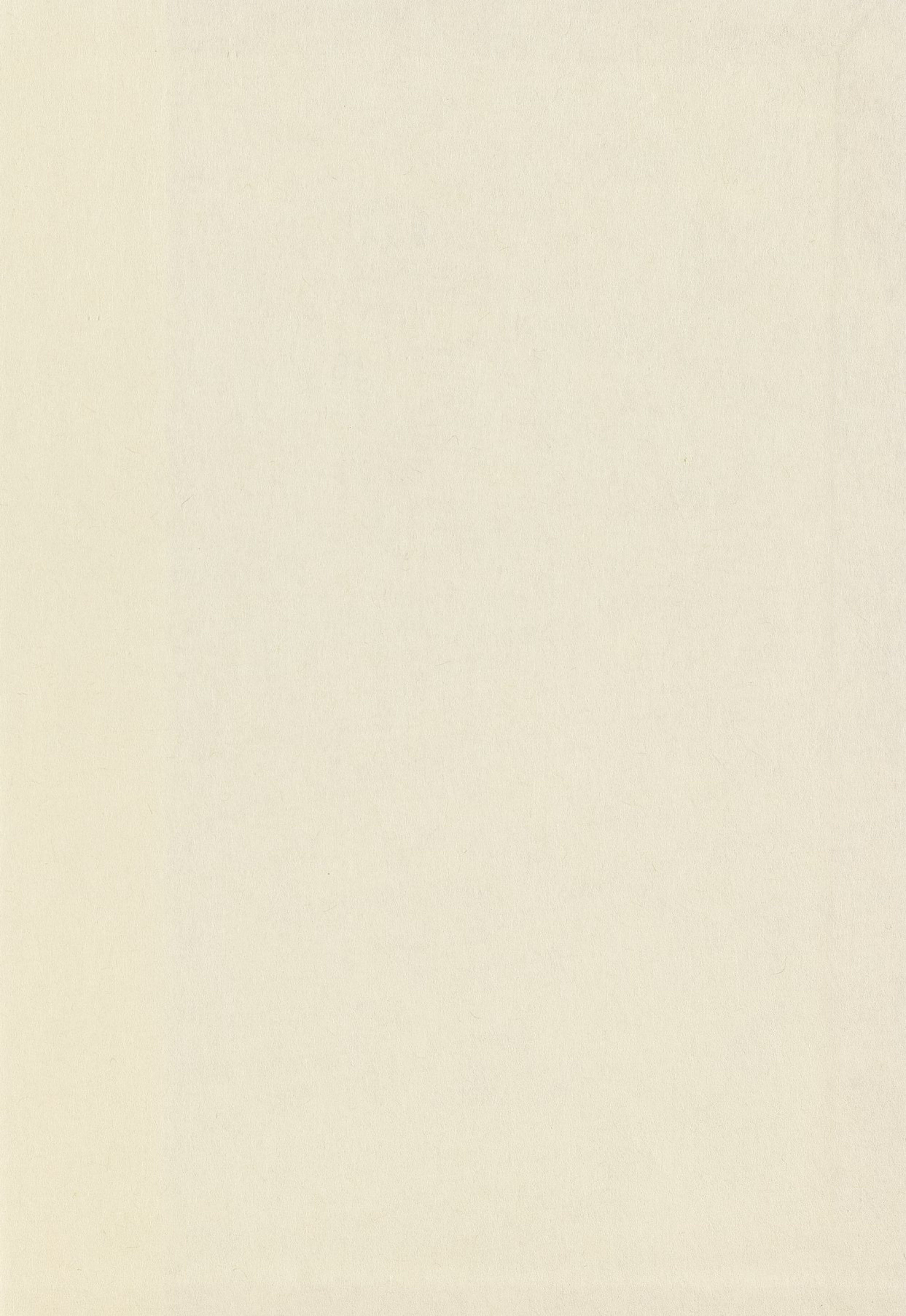
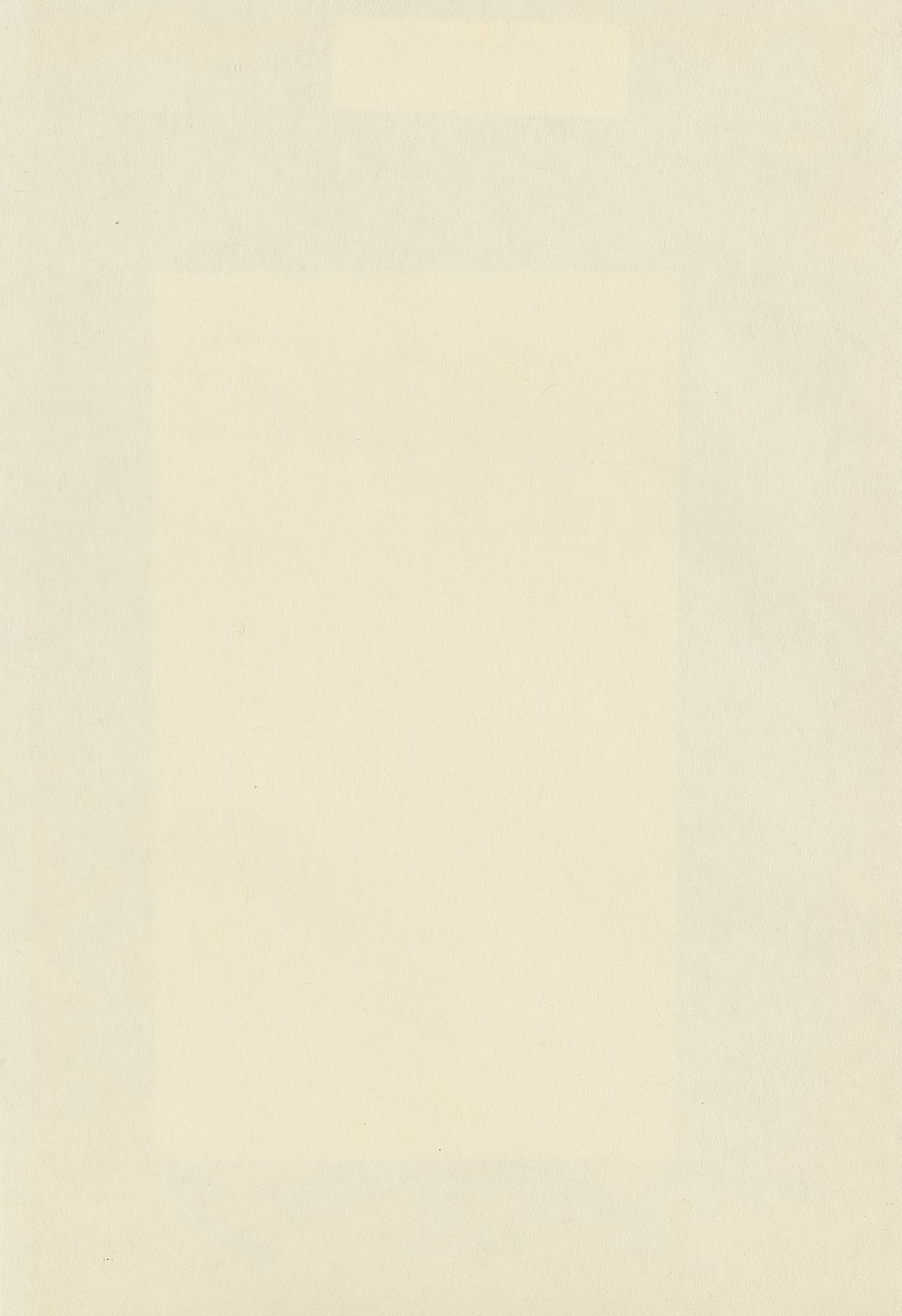





Princeton University Library
32101 062772122



كتاب الصيب الهطال

في كشف شبه بن كمال تأليف الشيخ الامام
الحبر البحر الهمام ناصر سنة سيد الأنام
وقامع بدع أهل الأوهام بقية السلف
الكرام أحمد بن محمد الكتلاني
قدس الله روحه ونور
ضريحه ورحمه
والمسلمين آمين

قام بطبعه
وتصحيحه ونشره
فضيلة الشيخ عبد الله الخليفي
امام وخطيب المسجد الحرام
على نفقة
المحسنين وفقهم الله

طبعت بمطابع مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر - جدة

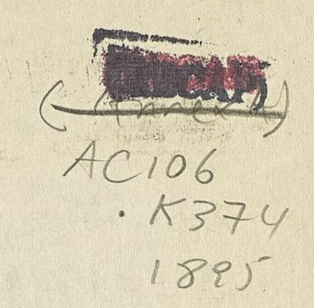


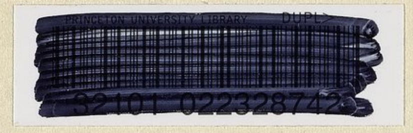
كتاب الصيب الهطال

في كشف شبه بن كمال تأليف الشيخ الامام
الحبر البحر الهمام ناصر سنة سيد الأنام
وقامع بدع أهل الأوهام بقية السلف
الكرام أحمد بن محمد الكتلاني
قدس الله روحه ونور
ضريحه ورحمه
والمسلمين آمين

قام بطبعه
وتصحيحه ونشره
فضيلة الشيخ عبد الله الخليفي
امام وخطيب المسجد الحرام
على نفقة
المحسنين وفقهم الله

طبعت بمطابع مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر - جدة





بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . تفرد سبحانه بالوحدانية وابدا للعالمين اثارها . وتوحد بالصمدانية وأشرق في السموات والأرض انوارها . واقر بالألوهية من سكن علوها وسفلها وقفارها وبحارها لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . الأحد الذي انفرد بالذات والصفات والأسماء . الذي احسن كل شيء خلقه واحاط به علما . وهو الله في السموات وفي الأرض . يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون . شهدت مصنوعاته بوحدانيته في الخلق والأمر وانفراده . وجرت احكامه فيها على وفق مراده . ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده . ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون . القيوم الذي بحكمته وتدبيره احسن نظام الوجود . القائم بما يحتاج اليه كل موجود . فالهالك من اتخذ من خلقه معبود . ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون . فسبحانه من اله ملك الوجود بأسره . وتضاءل من فيه تحت جبروته وقهره . وانقاد خضعانا لهيبته وامره . وله من في السموات والأرض كل له قانتون نحمده وهو المحمود في جميع افعاله . على ما اولانا من جوده ونواله . ونشكره على احسانه وافضاله . فتعسا لقوم يعرفون نعمة الله ثم ينكرون . وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الأولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون ونشهد ان لا اله الا الله ولا معبود بحق بسواه . فقد ضل من عدل به المخلوق وساواه . تالله ان كنا لفي ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين . وما اضلنا الا المجرمون . ونشهد ان سيدنا محمدا عبده

ونبيه الذي اختصه بالرسالة واصطفاه . نرجو بها الفوز والنجاه . يوم
يعرف المجرم بسيماه . وتجادل كل نفس عن نفسها وتوفي كل نفس
ما عملت وهم لا يظلمون . صلى الله عليه بالغدو والآصال . وعلى آله
وصحبه الذينهم خير صحب وآل . المنزل في حقهم كنتم خير امة
اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو
آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم لفاسقون .
وتحققوا بمصداق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم
الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون . صلاة وسلاماً دائمين الى
يوم يبعثون . وبعد فان الله جل جلاله انما خلق السموات والأرض
وذرأ فيهن بالطول والعرض . للقيام بوظايف العبودية . امتثالا لأمره اللازم
والفرض . وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فمن فضله لم يتركهم
سدى . لا يفرقون بين الضلالة والهدى . ولا يعلمون الرشد من الردى .
وما كان ربكم مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا
وما كنا مهلك القرى الا واهلها ظالمون . فارسل اليهم رسله الكرام قطعاً
للحجة . فرفعوا قواعد المحجة . ومهدوا سبيل التوحيد ونهجه . فاختار
الأكثر سبيل الشيطان وفجه . وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون .
وخص سبحانه نوحا عليه السلام بأول الرسالة فدعى قومه الى اخلاص
العبادة لمن لا تصلح الا له فسبوه ونسبوه الى الضلالة . وقابلوه بأقبح
المقاله . وقالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون . فكذبوه فأخذهم العذاب
وهم ظالمون . ثم ختم الرسالة بصفوة النبيين والمرسلين . وخيرته من الخلق
اجمعين . ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم

النبيين هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . فقام باعباء الرسالة عبده ورسوله المصطفى . فأتى قومه وهم من حفرة النار على شفا . فدعاهم الى ملة الخليل امام الحنفا . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون . فلما اعلن فيهم بالكلمة العظيمة الشان . التي خلقت لأجلها السموات والأرض والانس والجان . المتضمنة للتوحيد والايمان . وابطال عبادة الأصنام والأوثان . اصروا على الكفر والضلال والطغيان . انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون . ويقولون ائنا لتاركو الهتنا لشاعر مجنون . وتمالئواعلى الشرك والغي والفساد . ولزموا منهج الآباء والأجداد . وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشيء يراد . واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون . لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون . اعرضوا عن السميع المجيب الأله القادر القريب. ويقولونهؤلاء شفعاؤناعند الله مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . فجد صلى الله عليه وسلم في الاعلان بالدعوة واستمر . وجاهد من اعرض عن التوحيد ونفر لا يبالون بما ينالون من الأذى والمحنة والضرر . فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون . فلم يزل هو واتباعه يلقون من قومهم ما يلقون . ويفتنون في ذات الله ويؤذون . فيصبرون على ذلك ويرضون . الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الى ان اذن الله تعالى ان يعلي

كلمته وينصر دينه . ويمد في سائر الأقطار تمكينه . فأمر صلى الله وسلم بالمهاجرة الى المدينة . فهاجر وتتابع على ذلك المهاجرون . لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم اولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون . فشرع الله تعالى لنبيه الجهاد وفرض عليه قتال اهل الشرك والالحاد . ووعده النصر والتمكين والله لا يخلف الميعاد . ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون . فرفع الله قواعد الملة السمحا . وهدم دعايم العوجا وابدلها صبحا . وتوالت الفتوح على اهل الاسلام فتحاً فتحاً . فحقق الله لهم مأموهم نجحا . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . فلما اكمل الله تعالى لأمته الدين . واتم نعمته على المسلمين . اتاه من ربه اليقين . وما جعلنا البشر من قبلك الخلدا فأين من فهم الخالدون . فلم تزل اعلام الاسلام في خلافة خلفائه مرفوعة مشهورة . والوية التوحيد في الأمصار منصوبة منشوره . فهم في سبيل الله لأعدائه يجاهدون . الى ان مضى منهم كل الى السبيل . وانقضى اهل ذلك الجيل . فوقع التغيير في الدين والتبديل . بظهور القوم الذين اخبر الصادق انهم من الدين يمرقون . وحدثت البدع وكثرت انصارها . وعمت الفتن وربت اصارها . وتمت على ذلك الاعصار اعصارها . ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون . ثم

حدثت البنايا على القبور وشيدت رباعها . واسست اصولها فامتدت فروعها . وحلت بكل ناحية من الأمصار جموعها . وكذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون . فما برحت شبه البدع والشرك في القلوب دابة . وعواصف الضلال على من اراد الله فتنته هابه . ومن يعش على ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون . حتى مضى جملة من القرون فتفاقم الأمر والحال . وتراكم سحاب المرا والجدال . ولم تزل طائفة على الحق منصورة فليسوا على الضلالة يجتمعون. افمن زين له سوء عمله فراه حسناً فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون . فما زالت في ازدياد تلك الدعوى حتى حل البدع والشرك عرى التوحيد والتقوى . والأكثر متمسك من ملة ابائه بالسبب الأقوى . انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون فشرح الله تعالى صدر من وفقه للاسلام وهداه . وابان له سنن رشده وهداه . قال غير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكس كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وشهر عن ساق الجد اذ لم يجد بدا . وأعلن بتكفير من جعل دون ربه ندا . وقال لقد جئتم شيئاً ادا . ان كل من في السموات والأرض الا آت الرحمن عبداً . ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . فأبوا عن ذلك وصدوا وعارضوا بالباطل وردوا . واجتهدوا في العداوة وجدوا . فقالوا انا وجدنا آبائنا على امة وانا على آثارهم مهتدون . بل اخرجوهم من الديار . وحكموا أنهم من

الخوارج والكفار . ولم يكن لهم بالذكر الحكيم اعتبار . فجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون . فخسر الخسران المبين . من أعرض عن التوحيد والدين . وباء بالعذاب المهين . ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون . فلم تزل تأتي من ورثتهم مكاتبات وتعبيرات . عما هم فيه من الاعتقادات ودعوة الى ما انتحلوه من التقليد والعادات . والاعتقاد في الأشجار والأحجار والأحياء والأموات . ويزعمون بذلك انهم مصلحون . الا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . يريدون ليطفوءا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . فنقول مستعينين بالله متوكلين عليه . رافعين أكف الضراعة بالدعاء اليه . اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . اهدنا لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم . وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل . فأما قول القائل : قال صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي ما كان ما أنا عليه وأصحابي . فنقول وبالله التوفيق ان هذا الحديث قد روي من طرق متعددة ورواه الحاكم في مستدركه وخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانيه ليكونن في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل افترقت على اثنين

وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا من هي قال من كان ما أنا عليه وأصحابي فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الافتراق في هذه الأمة بحيث أن تكل الأقلام وتعجز الأنام أن تضبط ما هي عليه من التفرق والاختلاف وصاروا شيعا وأحزابا . بعد أن كانوا اخوانا وأصحابا . هذا من الأدلة الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم لأن الأمر وقع كما أخبر والكلام في ذكر الفرق ومناهجهم يستدعي طولا وأبواباً وفصولا فطوينا بساط الكلام عن ذلك خشية الاملال . ولنذكر أصول تلك الفرق على سبيل الاختصار والايجاز. الأولى فرقة الخوارج . ثم القدرية . ثم المعتزلة . ثم الجهمية . ثم الشيعة . ثم المرجئة . ثم الجبرية . والنجارية . والمشبهة . فهؤلاء هم الذين سلكوا اقبح المناهج . فأما الخوارج فهم عشرون فرقة المحكمة وهم الذين خرجوا على علي عند التحكيم وكفروه وكفروا عثمان وأكثر الصحابة وكانوا اثني عشر ألفا وكانوا أهل صلاة وصيام وقراءة ومنهم البيهسية قالوا من وقع على شيء لا يعلمه احلال أم حرام فهو كافر . ومنهم الأزرقية أصحاب نافع بن الأزرق كفروا عليا بالتحكيم وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعبدالله بن عباس وعايشة رضي الله عنهم وساير المسلمين وحكموا عليهم بالخلود في النار ومنهم النجدية أصحاب نجدة بن عامر ومنهم العاذرية الذين عذروا الناس في الجهالات الا في الفروع ومنهم الأصفرية أصحاب بن الأصفر ومنهم الأباضية أصحاب عبد الله بن أباض كفروا عليا وأكثر الصحابة وافترقوا أربع فرق الحفصية أصحاب حفص بن أبي المقدام واليزيدية أصحاب يزيد بن أنيسة قالوا يبعث

نبي من العجم بكتاب يكتب في السماء بترك ملة محمد ويختار ملة الصابئة . والحارثية أصحاب أبي الحارث الأباضي خالفوا الأباض في القدر ومنهم العجاردة أصحاب عبد الرحمن بن عجرد وهم أربع فرق كلها معلومة بالحال مشهورة بالضلال . وأما القدرية فأول من قام به معبد الجهني بالبصرة فضل وأضل أقواماً وتتابع على طريقته فئام . وأما المعتزلة افترقوا عشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا وكل حجة تروم لحجة الأخرى . نقضا ومنهم الواصلة أصحاب واصل بن عطا الذي أظهر الاعتزال وكان يجالس الحسن البصري قبل تظاهره بالضلال . ومنهم الهذيلية أصحاب الهذيل أحمد بن أبي العلاف وهو شيخهم ومقر طريقتهم . ومنهم الاسكافية أصحاب أبي جعفر الاسكاف . ومنهم الجعفرية أصحاب جعفر بن جعفر بن بشر بن حريب ومنهم البشرية أصحاب بشر بن المعتمر . كان من أفاضل علماء المعتزلة . ومنهم الهشامية أصحاب هشام بن عمرو الغوطي وكان هذا من أشد المعتزلة مبالغة في انكار القدر . ومنهم الصالحية . والحابطية . والحديثية والعمرية . ومنهم الثمامية أصحاب ثمامة النمري وكان هذا الشيطان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس ومن قبيح قوله أنه يقول اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة يصيرون في الآخرة تراباً لا يدخلون جنة ولا نارا . ومنهم الخياطية أصحاب أبي الحسن الخياط . ومنهم الجاحظية أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ وكان هذا بليغا ظهر في أيام المعتصم وأخذ من كتب الفلاسفة ومنهم الكعبية أصحاب القاسم بن محمد الكعبي تلميذ الخياط . ومنهم الجبائية أصحاب أبي علي الجبائي من كبار معتزلة

البصرة ومن أقبح مقالاته انكاره لكلام الهاري يقول ان الله يخلق كلامه في جسم والمتكلم ذلك الجسم وينكر روية الله في الآخرة ومرتكب الكبيرة مخلد في النار ولهم بقايا فرق . وأما الجهمية فهم أصحاب جهم بن صفوان وهو شر أهل البدع وانما خرجوا من ناحية خراسان في أواخر عصر التابعين في خلافة هشام بن عبد الملك وقد أشاع التجهم الجعد ابن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري فلما بلغ قتله الحسن البصري وأمثاله من التابعين شكروا ذلك وذكر شمس الدين أبو عبدالله ابن أبي بكر بن قيم الجوزية اجماع استحسانهم ذلك وقد ذكر ذ لك في نونيته المشهورة قوله رحمه الله تعالى . شكر الضحية كل صاحب سنة . لله درك من أخي قربان . والمشهور من مذهب الامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله وعامة أهل السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن وقد أخرجهم كثير من السلف من الثنتين والسبعين الفرقة كعبد الله بن المبارك ويوسف بن اسباط وطائفة من أصحاب أحمد وأما الشيعة فهم اثنان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا وأصول فرقهم ثلاث فرق الغلاة . والزيدية . والامامية . فالغلاة ثمانية عشرة فرقة أولهم السبائية وهم أصحاب عبد الله بن سبا ومنهم الكاملية أصحاب أبي أبي كامل ومنهم الغرابية ومنهم النصيرية . والاسحاقية . القائلين بالحلول في علي ومنهم الذمامية القائلين بالوهية علي . ومنهم الاسماعيلية ويلقبون بالقراء وباقي فرق الشيعة وروافضهم كثيرة . وأما الزيدية الذين ينسبون أنفسهم الى طريقة زيد بن علي زين العابدين وهم ثلاث فرق ومنهم الجارودية أصحاب أبي الجارود والسلمانية والتبرية والامامية

فقالوا بالنص الجلي على امامة علي وكفروا الصحابة ووقعوا في أعراضهم وأما المرجئة قد افترقوا خمس فرق اليونسية أصحاب يونس النمري والعبدية أصحاب غسان الكوفي . والثومنية أصحاب أبي معاذ الثومني ومن مقالاتهم أن السجود للصنم ليس كفر بل علامة على الكفر وتبعهم ابن الراوندي وبشر المريسي قبحهم الله وقبح من سلك سبيلهم . وأما الجبرية وهم الذين يقولون باسناد فعل العبد الى الله وليس للعبد اختيار ولا مشيئة ويقولون بحدوث علمه تعالى ونفي رؤيته في الآخرة وبخلق القرآن ووافقوا الجهمية في أن لا قدرة للعبد يكتسب بهـا فلذا لايقولون بخلود أحد في النار ولا في الجنة الى غير ذلك من مقالاتهم القبيحة وأما النجارية أصحاب محمد بن الحسين النجار وهؤلاء يوافقون المعتزلة على نفي الصفات وحدوث الكلام ونفي الرؤية وفرقهم ثلاث البرغوثية والزعفرانية والمستدركة وأكثر هؤلاء يكفرون بمن لم يقل بخلق القرآن وأما المشبهة شبهوا الله تعالى بالمخلوقات تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهم فرقة واحدة لأنهم وان افترقوا فالتشبيه يجمعهم فهذه فرق أهل الأهوى والضلال . وشيع الغواة والضلال . الذين مرقوا من الملة الحنيفية. مروق السهم من الرمية . فليس لهم حظ ولا نصيب من الدين . واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين . واذا دعو الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون . وانما ذكرنا هذه الفرق الضالة ليتبين حال أهل التوحيد من أهل الزيغ والجهالة . قال الله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون فهؤلاء الفرق المذكورة ليسوا على دين قويم . ولا هدى مستقيم . مع أنهم يشهدون

ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويصومون ويدعون الاسلام ويستقبلون القبلة ويدخلون المساجد الى غير ذلك من أنواع العلوم والأعمال التي ليست بخفية ومع هذا أجمع أهل السنة والجماعة على أنهم على غير ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الهدى ودين الحق لمنافاتهم الايمان بالرسالة وأما هؤلاء المشركون القبوريون وان كانوا أخذوا ببعض هذه الطرايق في الاعتقادات ووافقوهم في مسمى الاسلام فهم أعظم ذنبا وأكبر جريمة لكونهم يتبركون بالأشجار والأحجار والقبب والأحياء والأموات ويدعونها وينحرون عندها وينذرون لها ويعتمدون عليها ويخافون ويرجون منها ويهتفون باسمها ويطلبون منها ما لا يقدر عليه الا الله ويصرفون لها مالا يجوز صرفه الا لله الى غير ذلك مما يطول ذكره فهؤلاء المشركون قطعا أعظم ذنبا وأبعد صوابا وأضل منهاجا وليسوا على ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه لمخالفتهم ما جاء به صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاخلاص لأن الفرق المذكورة أهل بدع تنافي ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المتابعة وجنايتهم هذه على الرسالة . وأما هؤلاء المتعلقون بالأشجار والأحجار والأحياء والأموات أهل شرك ينافي ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاخلاص وجنايتهم على الألوهية والشرك أعظم من البدعة لأنه أعظم ذنب عصي الله به على الاطلاق بالكتاب والسنة والاجماع فلهذا رتب عليه من العقوبات في الدنيا ما لم يرتبها على غيرها من الذنوب من اباحة دماء أهله وأموالهم وسبي نسائهم وأولادهم وعدم مغفرته الا بالتوبة منه كما قال تعالى

ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار والمقصود أن المبتدع شارع من الدين ما لم يأذن به الله وان المشرك عابد غير الله فاقبح القبيح واظلم الظلم تشريك العاجز الفقير بالذات مع القادر الغني بالذات ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب نفي الشريك مع الله واخلاص العبادة كلها لله وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل والتوبة والاستعانة وغاية الحب مع غاية الذل كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة أن يكون لله وحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة أن يكون لغيره فمن فعل شيئا من ذلك لغيره فقد أشرك ذلك الغير بمن لا شريك له ولا ند له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فصل وأما الفرقة الناجية فهم أهل الاسلام والايمان الذين تمسكوا بالكتاب والسنة وجردوا الوحدانية لله عز وجل في الربوبية والألوهية وأفردوه بأقوالهم وأعمالهم ونياتهم فهو ربهم والههم وغاية مطلوبهم ومقصودهم فلا تسكن قلوبهم الا اليه ولا تطمئن الا بذكره ولا تأنس الا به ولا تتنعم الا بالتوجه اليه ولا صلاح ولا نعيم ولا فلاح ولا لذة ولا سعادة بدون ذلك بحال فلا رب لهم سواه ولا يعبدون الا اياه وهم الذين جردوا المتابعة لنبيهم صلى الله عليه وسلم فلا يطيعون الا أمره ولا يدينون الا بشرعه ولا يقتدون الا بهديه ولا يحلون الا ما أحل ولا يحرمون الا ما حرم ولا يحبون الا ما أحب ولا يبغضون الا ما أبغض ولا يوالون الا ما والى ولا يعادون الا من عادى الى غير ذلك

مما يقتضيه موجب الايمان بالرسالة لأن دينهم مبني على أصلين .
الأول لا يعبدون الا الله والثاني لا يعبدونه الا بما شرع وهما الاخلاص
والصواب اللذان لا يقبل الله عمل عامل الا بهما وبهما ابتلى الله عباده
كما قال تعالى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا
قال الفضيل بن عياض رحمهما الله تعالى أي أخلصه وأصوبه قالوا يا
أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا
لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصاً لم يقبل الا أن يكون خالصاً
صوابا وهما هيكل الدعوة النبوية وروحها ولبها والغاية منها بل الغاية من
ايجاد العالم بأسره والمقصود التنبيه على أصل دين الفرقة الناجية الذين
صدقوا في قول لا اله الا الله محمد رسول الله فان الاله هو الذي تأله
القلوب محبة واجلالا وتعظيما وانابة واكراما وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء
وتوكلا هكذا فسره أهل العلم وأجمعوا على أن الاله هو المعبود فلهذا
لا يدعون الا الله ولا ينحرون الا له ولا ينذرون الا له ولا يخافون ولا
يرجون الا منه ولا يتوكلون الا عليه ولا ينيبون الا اليه ولا يستعينون ولا
يستغيثون الا به ولا يصرفون شيئا من حقه لغيره فمن صرف شيئا من
خالص حقه لغيره وخصائص ألوهيته لغيره فقد أشرك وجعل مع الله الها
آخر وقد بين الله سبحانه التوحيد في كتابه أعظم بيان وأقام حجته على
عباده ونهى عن الشرك وجسم مواده وكذلك عبده ورسوله محمد صلى
الله عليه وسلم حقق التوحيد ودعى اليه وحمى جنابه ونهى عن الشرك
وسد الذرايع الموصلة اليه من الأقوال والأعمال والنيات حتى في الألفاظ
اليسيرة كقول الرجل ما شاء الله وشيئت قال أجعلتني لله ندا بل ما شاء

الله وحده وقول اناس يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال يا أيها
الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله
ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل وقول وفد
بني عامر أنت سيدنا فقال السيد الله تبارك وتعالى فما الظن بما هو أكبر
من ذلك من صرف أنواع العبادة لغيره كالدعاء والذبح وغير ذلك مما
لا يجوز صرفه الا لله وطلب ما لا يقدر عليه الا الله اذا فهمت ما
ذكرنا عرفت أن المبتدع من تعبد بعلم أو عمل أو اعتقاد لم يشرعه الله
في كتابه ولم يأت به رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يدرج عليه أصحابه
رضي الله عنهم ولو ادعى أنه من الفرقة الناجية وانتسب الله السنة والى ما
كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهذا تكذبه شواهد
الامتحان إذ لم يثبت قطعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن
أصحابه بطريق صحيح ولا ضعيف أنهم اتخذوا القباب والمشاهد وأوقدوا
فيها السرج ولثموا ترابها وركبوا عليها التوابيت وكسوها بالبرود والديباج
الى غير ذلك من أنواع البدع التي يفعلها الخارجون عن وفق الشريعة
وهديه الذي كان عليه وأصحابه بل الثابت الصحيح أنه جاء بهدمها
وابطالها كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن عبسة بعثت بصلة
الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيئا وقد أمر علياً رضي
الله عنه أن لا يدع تمثالا الا طمسه ولا قبرا مشرفاً الا سواه وأمر علي
رضي الله عنه أبا الهياج بذلك وأجمع سلف الأمة وأيمتها على أن كل
عمل جار تحت أحكام الشريعة فما كان موافقا لها فهو مقبول وما كان
خارجا عن ذلك فهو مردود وان كان تقاضته الطباع وتحالته النفوس

لما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا رد وهذا الحديث أصل من أصول الاسلام وقاعدة من قواعده وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها كما أن حديث عمر رضي الله عنه انما الأعمال بالنيات ميزان للأعمال في باطنها وعرفت أن المشرك من عبد مع الله غيره إذ الشرك يقتضي المشاركة وعرفت أن الموحد من كان على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو من عبد الله وحده بما شرعه في كتابه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم في كل زمان ومكان فصل وأما قول القائل وجدنا مذهبا يقال له وهبيا وهو الذي ذهب اليه محمد بن عبد الوهاب ويزعم أنه مذهب خامس الى غير ذلك من أقاويله الباطلة التي لا يقولها من له أدنى عقل فضلا أن يكون له دين فنقول هذا القائل من هو حتى يلتفت اليه ويعول في أمر الدين عليه ان هو الا رجل اضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فلفرط حمقه تكلم بما لا يعقله ولو صحى عقله وأوتي رشده لعلم أن الحيف ظلم والكذب حرام كيف وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى الآية . وقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ففرض تعالى في الآية الأولى القيام بالعدل والتكلم بالصدق ونهى عن الحيف والجور في كل مقام ومقال ولو أن الحاكم بالعدل المتكلم بالصدق يقضي على نفسه ويلزمها حجة لمن يبغض فلا يحمله

بغضه أن يحيف في قوله وحكمه وحرم تعالى في الآية الأخرى التكلم
بالكذب من حيث هو أو لم يستح هذا المتكلم من ربه أن يتكلم بهذا
لكبر سنه ولانتسابه الى الطوع ولكن الأمر كما قال تعالى ومن يهن الله
فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء ومن تأمل قصص الأولين والآخرين
من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من المؤمنين وما جرى لهم مع قومهم من
الرد والأذى والتكذيب لما أن دعوهم الى الله والى طاعته وترك ما استورثوه
من الأديان الباطلة والعادات الفاسدة فلا استكثر على هذا القائل ما
قاله لقد قيل لرسول رب العالمين وصفوة الخلق أجمعين لا تطيعوه فانه
صابيء كذاب وقيل له جاءنا بما لا نعرف وقيل زدت فيها يا محمد قال
بل جئت بها بيضاء نقية فاذا قيل هذا لرسول رب العالمين فمن يطمع
بالسلامة بعده فكيف وقد قال له ورقة بن نوفل لم يأت أحد بمثل ما
جئت به الا أوذي وعودي مع أنهم يعلمون صدقه وأمانته وأن ما جاء
به الحق ولكنهم كما قال تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون وقد سلى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين
بقوله كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون
اتواصوا به بل هم قوم طاغون ونظائر هذا أكثر من أن تحصر وأشهر من
أن تذكر ومن تأمل ما قدمنا من أصلي الدين وقاعدتيه المجمع عليهما
على أن الله لايقبل عمل عامل الا بهما وهما الاخلاص والمتابعة ورأى
ما عليه غالب الناس من التعلق بالأشجار والأحجار والأحياء والأموات
وصرف حق الله تعالى اليها وتعبدهم بما لم يأت به شرع ولا عندهم فيه
دليل عرف انما دعى اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
هو الذي دعى اليه النبي صلى الله عليه وسلم من الدين القويم والمنهج

المستقيم الذي لا يخفى الا على من هو أعمى البصيرة ضال أو معاند محروم باهت في الجدال ومحال أن يحصل اليقين والبصيرة الا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكيف ينال الهدى والايمان من زعم أن ذلك لا يحصل من القران . انما يحصل من الآراء الفاسدة التي هي زبالة الأذهان . تالله لقد مسخت عقول هذا غاية ما عندها من التحقيق والعرفان . وهذه المتابعة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هي حقيقة دين الاسلام . الذي افترضه الله تعالى على الخاص والعام . وهو حقيقة الشهادتين الفارقتين بين المؤمنين والكفار والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار . اذ معنى الاله هو المعبود المطاع . وذلك هو دين الله الذي ارتضاه لنفسه وملائكته ورسله وأنبيائه . فبه اهتدى المهتدون . واليه دعى المرسلون وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون . فلا يتقبل من أحد سواه من الأولين والآخرين . كما قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . شهد الله تعالى أنه دينه قبل شهادة المخلوقين وأنزلها تتلى الى يوم الدين فقال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم جعل أهله هم الشهداء على الناس يوم القيامة لما فضلهم به من الأقوال والأعمال والاعتقادات التي توجب اكرامه فقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفضله على سائر الأديان فهو أحسنها حكما وأقومها قيلا فقال تعال ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم

خليلا وكيف لا يميز من له بصيرة بين دين أسس على تقوى من الله ورضوان . وارتفع بناوءه على طاعة الرحمن . والعمل بما يرضاه في السر والاعلان . وبين دين أسس على شفا جرف هار فانهار بصاحبه في النار . أسس على عبادة الأصنام والأوثان . والالتجاء الى الصالحين وغيرهم من الانس والجان . عند الشدائد والأحزان . وصرف منح العبادة لغير الملك الديان . ورجاء النفع والعطا والمنع ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلا عن غيره من نوع الانسان . ودعوى التصرف في الملك لصالح رميم في التراب والأكفان . قد عجز عن رفع ما حل به من أمر الله فكيف يدفع عمن دعاه من بعيد الأوطان . أو فاسق يشاهدون فسقه وفجوره فهو أبعد الناس من الرحمن . أو ساحر يريهم من سحره ما يحير به الأذهان . فيظن المخذولون أنها كرامة من الله وانما هي مخاريق الشيطان . تبا لهم سدوا على أنفسهم باب العلم والايمان . وفتحوا عليها باب الجهل والكفران . قابلوا خبر الله بالتكذيب وأمره بالعصيان . أخبر بأن الهدى والنور في كتابه . قالوا ذاك فيما مضى من الزمان . وأمرهم باتباع ما أنزل اليهم من ربهم ولا يتبعون من دونه أولياء فقالوا لا بد لنا من ولي غير القرآن . ان جئتهم بكتاب الله قالوا حسبنا ما وجدنا عليه أهل الزمان . أو جئتهم بسنة رسوله قالوا خالفها الشيخ فلان . وهو أعلم منا ومنكم فاعتبروا يا أولي الايمان عمدوا الى قبور الأولياء والصالحين . فبنوا عليها البنيان . ونقشوا سقوفها والحيطان . وحلوها بالغالي من الأثمان وألبسوها ألوان الستور الحسان وجعلوا لها السدنة والخدم فعل عباد الأوثان . والصلبان ونذروا لمن فيها وقربوا لها القربان . وقالوا هوءلاء شفعاوءنا في كشف الكروب وغفران الذنوب ودخول الجنان . فبالله صف لي شرك المشركين هل هو

بعينه الا هذا كما نطق به القرآن في سورة يونس والزمر وغيرهما من محكمات الفرقان . ان غرك أن الأكثر عليه فقد حكم الله عليهم بأنهم أضل سبيلا من الأنعام . اذ استبدلوا الشرك بالتوحيد والضلال بالهدى والكفر بالاسلام أو غرك أن بعض من تعظمه قد رءى شيئاً من هذا أو قاله فالخطأ جائز على من سوى الرسول من الأنام . ولم تزل الحال على ما وصفنا من الأمور العظام . منتشراً في أهل البلدان المنتسبين الى الاسلام . المارقين منه كما تمرق الرمية من السهام . الى أن أزال الله تلك الظلمات وكشف البدع والضلالات . ونفى الشبه والجهالات . وتصديق بشارة رب الأرض والسموات . في قوله صلى الله عليه وسلم أن الله يبعث لهذه الأمه على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها رواه أبو داود والحاكم والبيهقي في المعرفة واسناده صحيح . على يد من أقامه هذا المقام نعني به خلف السلف الكرام المتتبع لهدي سيد الأنام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب . أحسن الله له المآب . وضاعف له الأجر والثواب . فدعى الى الله ليلا ونهارا . سرا وجهارا . وقام بأمر الله والدعوة اليه فعظم على الأكثرين وأنفوا استكبارا . ولم يثنه ذلك عن أمر الله حتى قيض الله له أعوانا وأنصارا . وصنف رحمه الله التصانيف في توحيد دين المرسلين . والرد على من خالفه من المشركين . وكان رحمه الله كما قال فيه بعض أهل الفطر السليمة . والعقول الصحيحة : لقد سافرنا الأقاليم . وعرفنا الناس وأذواقهم وأشرفنا على غالب أحوالهم . فلم نر مثل شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . علما وعملا وقياما في حق الله تعالى بالدعوة اليه . وغضبا اذا انتهكت حرماته . من أزكى الناس عقلا . وأصدقهم قولا . وأشدهم عزما . وأصوبهم متابعة لسنة محمد صلى الله علية وسلم . وايم الله ما رأينا في عصرنا هذا من يوافق الطريقة المحمدية

وسننها في أقواله وأفعاله مثل هذا الرجل . بحيث يشهد العقل الصحيح والفطرة السليمة أن هذا هو الاتباع حقيقة وبعد ذلك كله فقول الصدق فريضة فلا ندعي فيه العصمة عن الخطأ . ولا ندعي كماله لغايات الخصائص المطلوبة . فقد تكون في بعض الناقصين خصوصية . مقصودة لا يتم الكمال الا بتلك الخصوصية وفي غيره أكمل مما هي فيه بمعنى أن ذلك متصف بحقائقها لكن لا يعرف قدر هذا الرجل الا من عرف دين الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع من قلبه بموقع فمن كان كذلك عرف ما قام به هذا الرجل من بين أظهر عباد الله . يقوم معوجهم . ويصلح فسادهم . ويلم شعثهم . ويجدد لهم ملة أبيهم ابراهيم . ودين نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم . ويأمرهم بأن يكونوا في الاسلام اخوانا وعلى البر والتقوى أعوانا . جهد امكانه . في هذا الزمان المظلم . الذي أغرب فيه الدين . وجهلت فيه السنن وظهرت البدع . وصار المعروف منكرا . والمنكر معروفا . والسنة بدعة . والبدعة سنة . ونشأ على ذلك الصغير . وهرم عليه الكبير . وطمست الاعلام . واشتدت غربة الاسلام . فمن المعلوم بالضرورة أن من قام بهذا النور في هذه الظلمات لا يوصف خطره . ولا يعرف قدره . وايم الله إنه لمن الناصحين لله ولكتابه . ولرسوله . وللناس أجمعين . وانما الغشاش لكل أمة امام المضلين وشيخ الجاهلين الذي قد جاوز السبعين وأطاع اللعين . في تزيين دعوة الأحياء والأموات والطين . والشياطين . واستنزلهم بأحداث بدعية . وأغواهم بأوضاع جاهلية . فقال هذا والله هو حقيقة الاسلام . ولأجلها خلقت الأنام . وما هي الا أضغاث أحلام . وعقول سالبها باريها فانفذ فيها أحكام ومن العجب العجاب أنكم تعيشون مدة أعماركم . وبين أظهركم أناس كما أنكم

بين أظهرهم . فيفعلون من مخالفة دين الاسلام أشياء يظفر الشيطان بمثلها الا عند أمثالهم . ويفعلون أنواعا من المحرمات التي لم يسبقهم بها غيرهم . وينبذون الشرايع ويعطلون أحكامها . ويضيعون الفرايض . الى غير ذلك من الأقوال والأفعال . التي تفوق العد والاحصاء . وتعجز العقول عن ادراكها وتصويرها . وتكل الألسن عن نعتها وتعبيرها . فضلا عن كتابتها وتسطيرها . وأنتم تشاهدون هذه وساكتون عن انكارها راضون عن فاعلها . بل أنتم الآمرون بها . الموالون عليها الناصرون لها الذابون عنها وعن فاعلها . ومع هذا كله ترون أنكم من الناصحين لهم ولأنفسهم . وان من دعاهم الى فعل ما يقربهم من الجنة وترك ما يقربهم من النار صار عندكم غشاشا . سبحان الله ما أعظم هذا الجهل كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون . ولله در القائل حيث يقول :

يا فرقة جهلت نصوص نبيها ... وقصوده وحقائق الايمان

فسطوا على أتباعه وجنوده ... بالغي والتكفير والطغيان

والله ما غضبوا اذا ما انتهكت محارم ربهم في السر والاعلان

حتى اذا ما قيل في الوثن الذي ... يدعونه ما فيه من نقصان

فأجارك الرحمن من غضب ومن ... شتم ومن شبح ومن عدوان

وأجارك الرحمن من ضرب و ... تغريب ومن سب ومن سجان

والله لو عطلت كل صفاته ... ما قابلوك ببعض ذي العدوان

والله لو خالفت نص رسوله ... نصا صريحا واضح التبيان

واتبعت قول شيوخهم أو غيرهم ... كنت المحقق صاحب العرفان

حتى اذا خالفت آراء الرجال ... لسنة المبعوث بالقرآن

نادوا عليك ببدعة وضلالة ... قالوا في تكفيره قولان

قالوا تنقصت الكبار وسائر ال ... علماء بل جاهرت بالبهتان
هـذا ولم تسلبهم حقاً لهـم ... لتكون ذا كذب وذا عدوان
واذا سلبت صفاته وعلـوه ... وكمالـه جهراً بـلا كتمان
لم يغضبوا بل كان ذلك عندهم ... عين الصواب ومقتضى الاحسان
واذ ذكرت الله توحيدا رأيـت ... وجوههم مكسوفة الألـوان
بـل ينظرون اليك شزراً مثلمـا ... نظر التيوس الى عصى الجوبان
واذا ذكرت بمدحة شركـائهم ... يتباشرون تباشر الفرحـان
والله ما شموا روايح دينـه ... يا زكمة أعيت طبيب زمان

فصل والمقصود انما نسب اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من الأقوال الباطلة . الموجبة للصد عن سبيل الله . كذب وبهتان . وظلم وعدوان . وانه رحمه الله دعى الى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الدين القويم . والحق المبين . والى ما كان عليه عصابة الايمان . وعسكر القرآن . وجند الرحمن . أبر هذه الأمة قلوباً . وأعمقها علماً . وأقلها تكلفاً . وأحسنها بياناً . وأصدقها ايماناً . وأعمقها نصيحة . أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . ثم التابعون لهم باحسان . وكان رحمه الله يعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الايمان بالقدر خيره وشره . ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . من غير تحريف ولا تعطيل . بل يعتقد ويؤمن بأن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . فلا ينفى عنه ما وصف به نفسه . ولا يحرف الكلم عن مواضعه . ولا يلحد في أسمائه . وآياته . ولا يكيف . ولا يمثل صفاته بصفات خلقه . لأنه سبحانه لا سمي له . ولا كفو له . ولا ند له . ولا يقاس بخلقه . فانه سبحانه أعلم بنفسه . وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثاً . فـنزه

سبحانه نفسه عما وصفه به المخالفون . من أهل التكييف والتمثيل . وعما نفاه عنه النافون . من أهل التحريف والتعطيل . فقال سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين . وكان رحمه الله مع اعتقاده اعتقاد الفرقة الناجية . وسط في فرق الأمة . كما أنهم وسط في الأمم فهم وسط في باب صفاته تبارك وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية . وبين أهل التمثيل المشبهة . وهم وسط في باب أفعال الله بين القدرية والجبرية وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من قدرية الخوارج وغيرهم وهم وسط في باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وهم وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج ويعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود وانه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده صلى الله عليه وسلم ويؤمن بأن الله فعال لما يريد ولا يكون شيء الا بارادته ولا يخرج شيء عن مشيئته وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المقدر ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور . وكان رحمه الله مما يعتقد الايمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمن بفتنة القبر ونعيمه وباعادة الأرواح الى الأجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنوا منهم الشمس وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله ويؤمن بحوض نبيه صلى الله عليه وسلم بعرصة القيامة ماؤه أشل بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم

يظمأ بعدها أبدا ويؤمن بأن الصراط منصوب على متن جهنم يمره الناس على قدر أعمالهم ويؤمن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع وأول مشفع ولا ينكر شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم الا أهل البدع والضلالات ولكنها لا تكون الا بعد الاذن والرضى كما قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى كم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وهو لا يرضى الا التوحيد ولا يأذن الا لأهله . وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب كما قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين ويؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما اليوم موجودتان لا يغنيان وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته ويؤمن بأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين لا يصح ايمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته وان أفضل أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه . ثم عمر الفاروق . ثم عثمان ذو النورين . ثم علي المرتضى . ثم بقية العشرة . ثم أهل بدر . ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان . ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم . ويتولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر محاسنهم ويترضى عنهم ويستغفر لهم ويكف عن مساويهم ويسكت عما شجر بينهم ويعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنو ربنا انك رؤف رحيم ويترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء ويقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات الا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئا ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه الا الله ولا يشهد لأحد من المسلمين

بجنة ولا نار الا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن يرجو للمحسن ويخاف على المسيء ولا يكفر أحدا من أهل الاسلام بذنب ولا يخرجه من دائرة الاسلام ويرى الجهاد والحج ماض مع كل امام برا كان أو فاجرا وصلاة الجماعة خلفهم جائزة والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ويرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه ويرى هجر أهل البدع ومباينتهم ويعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة وكل متسم بغير الاسلام والسنة مبتدع وان الايمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد الجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان وهو بضعة وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ويرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة الى غير ذلك من عقائد أهل السنة والجماعة التي يطول ذكرها وأما مذهبه الذي ينتحله في الفروع فهو مذهب الامام أبي عبدالله أحمد بن حنبل ولا ينكر على أحد أخذ بمذهب الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذهب الغير ولا يدعي رتبة الاجتهاد المطلق الا أنه في بعض المسائل اذ أصبح عنده نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذ به وترك مذهب الحنابلة وقد قال الشافعي رحمه الله : أجمع أهل السنة على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد وصح عنه أنه قال اذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أخذ به فاعلموا أن عقلي قد ذهب وصح عنه أنه قال اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا

بقولي الحائط وصح عند رحمه الله أنه قال لأحد مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وان كان لسان الشافعي فهو لسان الجماعة كلهم ولسنا الآن بصدده ولا يفتش عن أحد في مذهبه ولا يتعرض عليه الا اذا اطلع على نص جلي مخالف لمذهب أحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعارا ظاهرا كامام الصلاة فيأمر الحنفي والمالكي مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح الدليل على ذلك بخلاف جهر الامام اذا كان شافعيا بالبسملة فلا يأمره بالاسرار فشتان بين المسألتين . ثم أنه رحمه الله تعالى يستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرةمن أجلها لديه وأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري فانه رحمه الله يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابته وليس فيه بدعة ولا ينقل عن متهم وكمختصره لابن كثير الشافعي كتفسير البغوي وهو مختصر من تفسير الثعلبي وتفسير عبد الرزاق وعبد بن حميد . وتفاسير الواحدي البسيط والوسيط والوجيز وفيها فوائد جليلة . وفيها غث من المنقولات نعني تفاسير الواحدي . وكالبيضاوي والخازن والحداد والجلالين . وغيرهم وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني علي البخاري والنووي على مسلم . والمناوي على الجامع الصغير ويحرص على كتب الحديث لا سيما الأمهات الستة ويقتني سائر فنون العلم أصولا وفروعا وقواعد وسيرا ونحوا وصرفا ولا يأمر باتلاف شيء من المؤلفات أصلا الا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك أو يحصل بسببه اختلاف العقايد الصحيحة وما تظاهر به صاحبه معاندا لأهل الحق وأما ما يكذبه عليه الأعداء سترآللحق وتلبيسا

للخلق من أنه يفسر القرآن برأيه ويأخذ من الحديث ما يوافق فهمه من غير مراجعة شرح ولا معول على شيخ بارز وانه يضع شيئاً من رتبة محمد صلى الله عليه وسلم أو أنه يكثر الشفاعة أو أن زيارته على الوجه الشرعي غير مندوبة أو أنه يكفر الأمة على الاطلاق أو أنه يستحل دماء أهل القبلة من غير مبيح أو أنه متظاهر بمذهب خامس أو أنه على غير عقيدة السلف أو أنه يكفر بالمعاصي أو أنه ينكر على من أخذ بأحد المذاهب الأربعة الى غير ذلك مما افتراه عليه أعداء الدين واخوان الشياطين فجوابنا أن نقول سبحانك هذا بهتان عظيم ومن شاهد حاله وحال المسلمين وتحقق ما عندهم علم قطعا أن جميع ذلك موضوع عليهم لصد الناس عن سبيل الله وتنفيرا لهم وانما حملهم على ذلك ما حمل من كان قبلهم كما قال تعالى كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون . فصل وأما قول القائل أنه حكم بكفر الأمة ظلما وجورا واستحل دمائهم وأموالهم لحطام الدنيا وجعلهم مشركين وهم مسلمون بلا ريب فنقول هذا كالذي قبله من الكذب والبهتان فان شيخ الاسلام رحمه الله لم يحكم بكفر الأمة على الاطلاق ولم يستحل دمائهم وأموالهم كما قدمنا ما هو المعروف من سيرته فلم يكفر المسلمين حاشا وكلا بل عنده أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم حرام كحرمة اليوم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام ويدين الله بموالاتهم ومحبتهم ونصرتهم ويجعل كبير المسلمين كالأب والصغير كالابن والنضير كالأخ عملا بقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقوله صلى الله عليه وسلم المؤمنون في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى

وقوله ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه الى غير ذلك والحكم بالاسلام والشرك والكفر حق لله تعالى وأمره اليه لا الى الرجال وبيانه في شرعه فلا أصدق منه قيلا ولا أحسن منه حكما . وقد جعل سبحانه وتعالى لكل من الاسلام والشرك والكفر أقوالا وأعمالا وصفات دالة عليه فمن حكمت الشريعة باسلامه فهو مسلم ومن حكمت الشريعة بشركه وكفره فهو مشرك كافر ولم يكن بين الاسلام والكفر واسطة فمن لم يكن مسلما لله وحده والا فهو مشرك شاء أم أبى ومن لم يكن على السنة فهو مبتدع شاء أم أبى قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقال تعالى فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين .

وفصل النزاع بيننا وبينكم في هذه المسئلة وغيرها هو الرد الى كتاب الله المبين وذكره الحكيم وصراطه المستقيم الذي ما تركه من جبار الا وقصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان الرد في موارد النزاع الى كتاب الله وسنة رسوله واجب لقوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا فهذا دليل قاطع على أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس من الدين أصوله وفروعه الى الله ورسوله فمن أحال في الرد الى غيرهما لقول فلان أو نص كتابه أو عمل فلان أو طريقته فقد ضاد الله في أمره فلا يدخل العبد في الايمان حتى يرد كلما تنازع فيه المتنازعون الى الله ورسوله ولهذا قال ان كنتم واليوم الآخر وهذا شرط ينتفى المشروط بانتفاءه فدل على أن من حكم غير الله ورسوله في موارد النزاع كان خارجا عن مقتضى الايمان بالله واليوم

الآخر وهذه قاعدة عظيمة مهمة يحتاج اليها كل أحد وطالب العلم اليها أحوج فانه في غالب الأحوال يرى أقوال أهل مذهبه قد خالفت نصوص الكتاب والسنة وهذا من أعظم مكائد الشيطان وحبائله التي صاد بها كثيراً ممن ينتسب الى العلم والدين ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون وأقبلوا على الكتب التي صنفها متأخروهم وقالوا هم أعلم منا ثم لم يكتفوا بها ولم يعملوا بما فيها بل ان وافق ما فيها أهوائهم قبلوه وعملوا به وقالوا نص عليه في الكتاب الفلاني وان خالف بما فيها أهوائهم لم يعبئوا بها ولم يحتجوا بها وصار حجتهم ما فعله اخوان الشياطين الذين بنوا القباب على القبور وارتكبوا كل محضور وزخرفوا القبور بالبناء وكسوها كما يكسى البيت الحرام وفعلوا عندها ما يفعل عند الأصنام حتى آل الأمر الى أن صار فعلهم هذا حجة يعارض بها النصوص فقول قائلهم هذا موجود في كل عصر ومصر من غير نكير وغلبت عليهم العادات التي نشوا عليها ووجدوا آبائهم عليها واحتجوا بالحجة القرشية انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وبالحجة الفرعونية فما بال القرون الأولى وقبلهم قوم ابراهيم عليه السلام لما قال لهم هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آبائنا كذلك يفعلون والمشركون في هذا الزمان سلكوا سبيلهم حذوا القذة بالقذة لما أنكر عليهم الشرك بالله وتعظيم القبور والبناء عليها واسراجها وشد الرحال اليها ودعائها والدعاء عندها لم يكن لهم حجة يحتجون بها الا هذه الحجج التي ذكرها الله عن المشركين فانا لله وانا اليه راجعون.

فصل والمقصود أنه رحمه الله يحكم بكفر من كفره الله ورسوله

وأجمع أهل العلم على تكفيره وهم ثلاثة أصناف من الناس ويستحل دمائهم وأموالهم لقيام دليل النص والقياس الصحيح والاجماع على ذلك الصنف الأول من عبد مع الله غيره لمنافاته ما هو معلوم بالضرورة من دين الاسلام الذي دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل عليه كفعل هؤلاء المشركين الذين يدعون الأحجار والأشجار والأحياء الغائبين والأموات وينحرون لهم القرابين وينذرون لهم ويعتمدون عليهم ويخافون خوف السر منهم ويهتفون عند الشدائد بأسمائهم ويطلبون منهم كشف المهمات وتفريج الكربات . وقضاء الحاجات . الى غير ذلك من الأفعال التي لا يستحقها الا الله . ولا يجوز طلبها الا منه . فأهل هذه الأفعال مشركون بلا ريب لموافقتهم أفعال المشركين وتدينهم بدينهم ومنافاتهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من اخلاص العبادة لله وحده ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام أن دعاء الأشجار والأحجار والغائبين والأموات لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من الصحابة دعى النبي صلى الله عليه وسلم ولا استغاث به بعد موته ولو كان هذا جائزا أو مشروعاً لفعلوه ولو كان خيراً لسبقونا اليه وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير فما منهم من استغاث عند قبر صحابي ولا دعاه ولا استنصر به ومعلوم أن هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه وحينئذ فلا يخلوا اما أن يكون دعاء الموتى والغائبين وغيرهم أو الدعاء عندهم والتوسل بهم أفضل أولا يكون فان لم يكن وتركوه فلا وسع على من لم تسعه طريقتهم فان كان هذا أفضل فكيف خفي علما وعملا على الصحابة والتابعين وتابعيهم من أئمة الهدى فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة

علما وعملا بهذا الفضل العظيم ويظفر به الخلوف علما وعملا وأما أن يكون الصحابة علموا فضل ذلك وزهدوا فيه مع حرصهم على الخير وطاعتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم وكلاهما محال بل هم رضي الله عنهم أعلم الناس بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطوع الناس لأوامره وأحرص الناس على كل خير وهم الذين نقلوا الينا سنة نبينا صلى الله عليه وسلم فهلا فهموا ما فهمتموه من جواز دعاء الموتى وغيرهم فضلا عن استحبابه والأمر به ومعلوم أنهم عرضت لهم شدائد واضطرابات وفتن وقحط وسنون مجدبات أفلا جاؤا الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم شاكين وله مخاطبين وبكشفها عنهم وتفريج كربتهم داعين والمضطر يتسبب بكل سبب يعلم أن له فيه نفعا لا سيما الدعاء فلو كان ذلك وسيلة مشروعة وعملا صالحا لفعلوه فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل القبور والأشجار والأحجار حتى توفاه الله وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين هل يمكن أحد منكم أن يأتي عنهم بنقل صحيح أو حسن أنهم كانوا اذ كانت لهم حاجة أو عرضت لهم شدة قصدوا القبور والأحجار والأشجار فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا أن يسئلوها حوائجهم فمن كان عنده في هذا أثر أو حرف واحد في ذلك فليوقفنا عليه نعم يمكنكم أن تأتوا عن الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون بكثير من المختلقات والحكايات المخترعات والأحاديث المكذوبات كقولهم اذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور وكقولهم لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه ونحو ذلك مما هو مضاد لما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين . الصنف الثاني الراضي بعبادة غير الله وان لم يفعل الكفر فان الرضى بالكفر كفر والراضي

كالفاعل اجماعا لم يختلف فيه اثنان لدلالة النص والقياس على ذلك الصنف الثالث الناصر لهذه المعبودات من دون الله المحارب دونها المظاهر لأهلها بما له أو نفسه أو كلاهما فهذا كافر وان لم يفعل الكفر قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الآية وقوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله شهد إنهم لكاذبون فعقد سبحانة الأخوة الكفرية بين المنافقين والكافرين بما أوعدوهم سراً من نصرتهم ان قوتلوا والخروج معهم ان أخرجوا وبين تعالى أن هذا كفر مخرج لفاعله من الاسلام ولو كان كاذباً فكيف بمن نصرهم صادقاً باطناً وظاهراً وكثر سوادهم وأعانهم بماله ونفسه ورأيه وصار لهم جند محضرون فأمر هؤلاء أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة والله المستعان . فصل وأما قوله فهم مسلمون بلا ريب . فنقول وبالله التوفيق ان هذا القائل جاهل بما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الدين معاند لما استبان من الحق المبين . ومن المعلوم بالضرورة أن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد واخلاص العبادة له وحده قال تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين الا لله الدين الخالص وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة . والتوحيد ينقسم ثلاثة أنواع . وهي متلازمة كل نوع لا ينفك عن الآخر . النوع الأول توحيد الربوبية والملك وهو الاقرار بأن الله رب كل شيء ومالكه ورازقه وانه المحيي المميت الضار النافع وهذا التوحيد

لا يكفي العبد في حصول الاسلام بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الالهية لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده قال تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون وغيرها من الآيات . النوع الثاني توحيد الأسماء والصفات وهو الاقرار بأن الله بكل شيء عليم . وعلى كل شيء قدير . وانه الحي القيوم . له المشيئة النافذة . والحكمة البالغة . وانه سميع بصير . رؤف رحيم . على العرش استوى . وعلى الملك احتوى. وانه الملك القدوس . السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون الى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى وهذا أيضا لا يكفي في حصول الاسلام بل لا بد مع ذلك من الاتيان بلازمه من توحيد الربوبية والالهية والكفار يقرون بجنس هذا وان كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك اما جهلا أو عنادا . النوع الثالث توحيد الالهية المبني على اخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجا والتوكل والرهبة والدعاء لله وحده وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو معنى قول لا اله الا الله فان الاله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والاجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وعنده افترق الناس الى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار قال الله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذي من قبلكم لعلكم تتقون . فهو أول أمر في القرآن وهو أول دعوة الرسل أولهم وآخرهم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وهو أول واجب على

المكلف وأول ما يدخل به في الاسلام وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الافصاح وأبدا فيه وأعاد وضرب لذلك الأمثال وهو حقيقة الاسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه وهو عبادة الله وحده لا شريك له بفعل المأمور وترك المحضور . وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة فيجب اخلاصها لله تعالى فمن أشرك بين الله وبين غيره في شيء منها فليس بمسلم وان صلى وصام وزعم أنه مسلم فمنها المحبة فمن أشرك فيها بين الله وبين غيره فهو مشرك كما قال تعالى من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله الى قوله وما هم بخارجين من النار . ومنها التوكل فمن يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو مشرك . ومنها الخوف فلا يخاف خوف السر الا من الله قال الله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فمن خاف من غير الله أن يصيبه بمكروه بمشيئته وقدرته بلا مباشرة فهو مشرك . ومنها الرجا فيما لا يقدر عليه الا الله قال الله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله وقال علي رضي الله عنه لا يرجون عبد الا ربه فمن رجا غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو مشرك . ومنها الصلاة والركوع والسجود قال الله تعالى فصل لربك وانحر . وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . فمن صلى لغير الله أو ركع أو سجد فهو مشرك . ومنها الدعاء فيما لا يقدر عليه الا الله قال الله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير فمن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو مشرك .

ومنها النذر قال تعالى وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق وقال تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا فمن نذر لغير الله تقربا اليه فهو مشرك . ومنها الاستعاذة قال الله تعالى قل أعوذ برب الفلق . قل أعوذ برب الناس . فمن استعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو مشرك . ومنها الاستغاثة قال الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم وفي حديث الطبراني لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل فمن استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو مشرك . والحاصل أن من اشرك بين الله وبين مخلوق فيما يختص به الخالق تعالى من هذه العبادات وغيرها فهو مشرك . وانما ذكرنا هذه العبادات خاصة لأن عباد القبور صرفوها لغير الله تعالى وشركوا بين الله تعالى وبينهم فيها والا فكل نوع من أنواع العبادة فمن صرفه لغير الله أو اشرك بين الله تعالى وبين غيره فيه فهو مشرك قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . وهذا الشرك في العبادة هو الذي كفر الله به المشركين وأباح به دمائهم وأموالهم ونساءهم والا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت الى غير ذلك من أنواع الربوبية وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتوحيد الذي هو معنى لا اله الا الله الذي مضمونه أن لا يعبد الا الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما فقالوا أجعل الآلهة الهاً واحدا ان هذا لشيء عجاب . فاذا تقرر هذا وعرفت الشرك الذي قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله واستباح دماءهم وأموالهم عنده ورأيت ما يفعله أهل هذا الزمان عند القبور والأشجار والأحجار علمت قطعا أنهم مشركون كشرك الأولين بلا ريب بل يزيدون على ذلك

بأمور منها أن الأولين لا يشركون مع الله الا في حال الرخا وأما في حال الشدة فيخلصون العبادة لله وحده كما قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعو الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ومنها أن الأولين لا يدعون مع الله الا أناساً صالحين وملائكة مقربين وأشجاراً وأحجاراً مطيعة لله غير عاصية وأهل زماننا يدعون من يشاهدون فسقه وفجوره ومع هذا كله يقول هؤلاء الجاهلون والأئمة المضلون انهم مسلمون . ويزيد المسئلة وضوحاً أن الدعاء نوعان : دعاء مسئلة . ودعاء عبادة كما ذكر العلماء المحققون ويراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما وهما متلازمان فدعاء المسئلة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر فان المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه من لا يملك ضراً ولا نفعاً كقوله تعالى قل أتعبدون من دزن الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم وقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وذلك كثير في القرآن يبين أن المعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر فهو يدعى للنفع والضر دعاء مسئلة . ويدعى خوفاً ورجاء دعاء عبادة . فعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسئلة متضمن لدعاء العبادة وبهذا التحقيق ندفع عنك ما يقوله عباد القبور اذا احتج عليهم بما ذكره الله في القرآن من الأمر باخلاص الدعاء له قالوا المراد به العبادة فيقولون في مثل قوله تعالى وان المساجد لله فلا تدع مع الله أحدا أي لا تعبدوا فيقال لهم وان أريد به دعاء العبادة فلا ينفي أن يدخل دعاءه المسئلة في دعاء العبادة لأن دعاء العبادة مسلتزم لدعاء المسئلة كما أن دعاء المسئلة

متضمن لدعاء العبادة هذا لو لم يرد في دعاء المسئلة بخصوصها من القرآن الا الآيات التي ذكر فيها دعاء العبادة فكيف وقد ذكره الله في القرآن في غير موضع قال تعالى ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين . وقال تعالى ادعوه خوفاً وطمعاً وقال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وقال تعالى واسئلوا الله من فضله وقال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان يشاء وتنسون ما تشركون وقال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام ان ربي لسميع الدعاء وقال عنه أيضاً وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً الآية . وقال تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجاءرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وقال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا . وقال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعو فله الأسماء الحسنى . وقال تعالى عن زكريا عليه السلام رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربي شقيا . وقال تعالى وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم الآية . وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون . فكفى بهذه الآيات حجة وبرهان في الفرق بين التوحيد والشرك عموماً وفي هذه المسئلة خصوصاً وقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق

واعبدوه وقال تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار . وقال تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشركـكم ولا ينبئك مثل خبير . وقال تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وغير ذلك من الآيات . وفي الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مالا يحصى منها قوله فيما رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي كلكم جائع الا مع أطعمته فاستطعموني أطعمكم الى آخر الحديث رواه مسلم وقوله ليس شيء أكرم على الله من الدعاء رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حيان والحاكم وصححه وقوله الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض رواه الحاكم وصححه وقوله الدعاء هو العبادة رواه أحمد والترمذي . وفي حديث آخر الدعاء مخ العبادة رواه الترمذي وقال مطرف تذكرت ما جماع الخير فاذا هو كثير الصلاة والصوم واذا هو في يد الله تعالى واذ أنت لا تقدر على ما في يد الله الا أن تسئله فيعطيك رواه أحمد والأحاديث والآثار في ذلك لا يحيط بها الا الله تعالى فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات بل هو أكبر مها على الله كما تقدم فان لم يكن الا شراك في الدعاء شركا فليس في الأرض شرك وان كان في الأرض شرك فالشرك أولى أن يكون الاشراك في غيره من أنواع العبادة بل الاشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة ويتقربون اليهم ليشفعوا

لهم عند الله ولهذا يخلصون في الشدائد وينسون ما يشركون لعلمهم أن آلهتهم لا تكشف الضر ولا تجيب المضطر قال تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكرون . فهم كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده وأن آلهتهم ليس عندها شيء من ذلك ولهذا احتج عليهم سبحانه وتعالى بذلك على أنه هو الاله الحق وعلى بطلان آلهية ما سواه قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فهذا حال المشركين الأولين . وأما مشركوا زماننا فلا اله الا الله كم ذا بينهم وبين المشركين الأولين من التفاوت العظيم في الشرك فانهم اذا أصابتهم الشدايد براً وبحراً اخلصوا لآلهتهم وأوثانهم التي يدعونها من دون الله وأكثرهم قد اتخذ ذكر شيخه والهه ان قام وان قعد وان عثر هذا يقول يا علي وهذا يقول يا عبد القادر . وهذا يقول يا ابن علوان . وهذا يقول يا أحمد البدوي . وهذا يقول يا قوران . وهذا يقول يا قيسان . وهذا يقول يا البرق الأسود . وهذا يقول يا زهير . وهذا يقول يا محضار . وهذا يقول يا عيدروس . وبالجملة ففي كل بلد في الغالب أناس يدعونهم ويلهجون بذكرهم كما يلهج الصبي بذكر أمه ويسئلونهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات بل بلغ الأمر الى أن يسئلوهم مغفرة الذنوب وترجيح الميزان ودخول الجنان والنجاة من النيران والتثبيت عند الموت والسؤال وغير ذلك من أنواع المطالب التي لا تطلب الا من الله كما قال البرعي :

ماذا تعامل يا شمس النبوة من ... أضحى اليك من الأشواق في كبدي
فامنع جناب صريع لا صريخ له ... نأى المزار غريب الدار مبتعدي
حليف ودك واهي الصبر منتظر ... لغارة منك يا ركني ويا عضدي
أسير ذنبي وزلاتي ولا عمل ... أرجو النجاة به ان أنت لم تجد ي

وجرى في شركه الى أن قال

وحل عقدة كربي يا محمد من هم على خطرات القلب مطرد
أرجوك في سكرات الموت تشهدني كيما يهون اذ الأنفاس في صعد
وان نزلت ضريحا لا أنيس له فكن أنيس وحيد فيه منفرد
وارحم مؤلفها عبدالرحيم ومن يليه من أجله وانعشه وافتقد
وان دعا فأجبه واحم جانبه من حاسد شامت أو ظالم نكد

وقوله من أخرى

يا رسول الله يا ذا الفضل يا بهجة الحشر جاها ومقاما
عد على عبد الرحيم الملتجي بحمى عزك يا غوث اليتامى
واقلني عثرتي يا سيدي في اكتساب الذنب في خمسين عاما

وقوله من أخرى

يا سيدي يا رسول الله يا أملي يا موئلي يا ملاذي يوم تلقاني
هب لي بجاهك ما قدمت من زلل جودا ورجح بفضل منك ميزاني
فأنت أقرب من ترجى عواطفه عندي وان بعدت داري واوطاني
اني دعوتك من نيائة برع وأنت أسمع من يدعوه ذو شاني
وامنع جنابي وأكرمني وصل نسبي برحمة وكرامات وغفران

لقد أنسانا هذا ما قبله . وهذا بعينه هو الذي دعته النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام الا أن أولئك أطلقوا عليه اسم الاله وهذا لم يطلقه لأنه أقرب الى ترويج الباطل وقبوله عند ذوي العقول السخيفه اذ كان من المتقرر عند الأمة المحمدية أن دعوى النصارى في عيسى عليه السلام كفر فلو أتاهم بدعوى النصارى اسماً ومعنى لردوه وأنكروه فأخذ المعنى وأعطاه البرعي وأضرابه وترك الاسم للنصارى والا فما ندري ماذا

أبقى هذا المتكلم الخبيث للخالق تعالى وتقدس في سؤال مطلب . أو تحصيل مأرب . فالله المستعان وهذا كثير جدا في أشعار المادحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حجة أعداء دينه الذين يجوزون الشرك بالله ويحتجون بأشعار هؤلاء ولم يقتصروا أيضاً على طلب ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم بل يطلبون ذلك من غيره . كما قال بعضهم في بعض معابيدهم :

يا سيدي يا صفي الدين يا سندي	يا عمدتي بل ويا ذخري ومفتخري
أنت ملاذي لما أخشى ضرورته	وأنت لي ملجأ من حادث الدهري
وامنن علي بتوفيق وعافية	وخير خاتمة مهما انقضي عمري
وكف عنا أكف الظالمين اذا	مدت بسوء وأمر مؤلم نكري
فأنا عبدك الراجي بودك ما	أملته يا صفي السادة الغرري

قال بعض العلماء فأي معنى اختص به الخالق سبحانه وتعالى بعد هذه المهزلة وما أبقى هذا المتكلم الخبيث لخالقه من الأمر فان المشركين أهل الأوثان ما يأهلون من عبدوه بشيء من هذا وهذا بعض كلامهم ولو ذهبنا نذكر ما يشابه هذا نظما ونثر لطال الكلام وهؤلاء واضرابهم عند ابن كمال أئمة الدين وخلاصة الموحدين واغوثاه هل يجتمع الايمان بهذا والايمان بقوله تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو . الآية بتمامها وقوله تعالى قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير ومبشر لقوم يؤمنون . وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ويا صفية

عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً فهل يجتمع الايمان بقول هؤلاء المشركين والايمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلاص العبادة لله رب العالمين . لا والله لا يجتمعان في قلب عبد الا كما يجتمع ان موسى صادق على الحق وان فرعون صادق وعلى الحق . كما قال القائل :

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان بين مشرق ومغرب
صم وبكم عن حقيقة دينهم   عميء عن القول المصيب الطيب
قد أغرقوا في بحر شرك لجة   في ظلمة فيها الصواعق صيب

فاذا فهمت ما تقدم من ذكر نوعي الدعاء نعني دعاء المسئلة ودعاء العبادة وفهمت ما ذكرناه من الآيات والأحاديث الدالة على اخلاص العبادة لله واختصاصها به تعالى فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئاً من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك ولو قال لا اله الا الله محمد سول الله وصلى وصام اذ شرط الاسلام مع التلفظ بالشهادتين أن لا يعبد الا الله . فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله فما أتى بهما حقيقة وان تلفظ بهما كاليهود الذين يقولون لا اله الا الله وهم مشركون ومجرد التلفظ بهما لا يكفي في الاسلام بدون العمل بمعناهما واعتقاده اجماعاً ولنذكر شيئاً من كلام العلماء في ذلك وان كنا غنيين بكتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن كل كلام الا أنه قد صار بعض الناس منتسباً الى طائفة معينة فلو أتيته بكل آية من كتاب الله وكل سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل ذلك حتى تأتيه بشيء من كلام العلماء أو بشيء من كلام طائفته التي ينتسب اليها . قال الامام

أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي صاحب كتاب الفنون الذي ألفه في نحو أربعمائة مجلد وغيره من التصانيف قال في الكتاب المذكور رحمه الله لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوايج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى نقله غير واحد مقررين له منهم الامام أبو الفرج والامام ابن مفلح صاحب كتاب الفروع . وغيرهما رحمهما الله تعالى .

وقال الامام ابن النحاس الشافعي رحمه الله في كتاب الكبائر ومنها ايقاد السرج عند الأشجار والأحجار والعيون والآبار ويقولون انها تقبل النذور وهذه كلها بدع شنيعة ومنكرات قبيحة تجب ازالتها ومحو أثرها فان أكثر الجهال يعتقدون أنها تنفع وتضر وتجلب وتدفع وتشفي المريض وترد الغايب اذا نذر لها وهذا شرك ومحادة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فصرح رحمه الله أن الاعتقاد في هذه الأمور أنها تضر وتنفع وتجلب وتدفع وتشفي المريض وترد الغايب اذا نذر لها ان ذلك شرك واذا ثبت أنه شرك فلا فرق في ذلك بين اعتقاده في النبيين والملائكة وبين اعتقاده في الأصنام والأوثان اذ لا يجوز الاشراك بين الله تعالى وبين مخلوق فيما يختص به الخالق سبحانه كما قال تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون .
وقال الامام المحقق ناصر السنة شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ابن ابراهيم محدث الشام المعروف بأبي شامة الشافعي في كتابه الذي

اختصره من الباعث على انكار البدع والحوادث للامام أبي بكر الطرطوشي . ومن هذا ماقدعمت به البلوى من تزيين الشياطين للعامة تخليق الحيطان والعمد والمواضع المخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن اشتهر بالصلاح والولاية يفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون ذلك الى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم ويعظمونها ويوجون الشفا لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم وهي بين عيون وشجر وحائط وحجر وفي مدينة دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحما خارج باب توما والعمود المخلق داخل باب الصغير . والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر . في نفس قارعة الطريق . سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها . فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن اسحاق وغيره عن أبي واقد الليثي فتأمل كلام هذا الامام وتصريحه بأن الذي تفعله العامة في زمانه في العمد والشجر والمواضع المخصوصة مما قد عمت به البلوى وانه مثل فعل المشركين وكان أبو شامة رحمه الله في أول القرن السابع ومعلوم أن الأمر لا يزيد الا شدة كما هو معلوم بالمشاهدة .

وقال الشيخ أحمد بن حجر رحمه الله في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر الكبيرة الأولى الكفر والشرك أعاذنا الله منها ولما كان الكفر أعظم الذنوب كان أحق أن يبسط الكلام عليه وعلى أحكامه قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك من يشاء وقوله ان الشرك لظلم عظيم وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . وذكر الحديث الصحيح ألا أنبئكم

بأكبر الكبائر الاشراك بالله الحديث ثم قال رحمه الله تنبيهات منها بيان الشرك وذكر جملة من أنواعه لكثرة وقوعها في الناس وعلى ألسنة العامة من غير أن يعلموا أنها كذلك فاذا بانت لهم فلعلهم أن يجتننبوها لئلا تحبط أعمالهم ويخلدون في أعظم العذاب ثم ذكر أنواعاً من الكفر فتأمل قوله لكثرة وقوعها في الناس وعلى ألسنة العامة من غير أن يعلموا أنها كذلك وأن الشرك والردة قد يقع فيه كثير من أهل زمانه تبين لك مصداق ما قلناه وقال الشيخ قاسم في شرح درر البحار النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي الى قبر صالح قائلا له يا سيدي فلان ان رد غايبي أو عوفي مريضى أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو من الفضة أو من الطعام أو من الشمع كذا وكذا باطل اجماعاً لوجوه منها أن النذر للمخلوق لا يجوز ومنها أن ذلك كفر الى أن قال وقد ابتلي الناس بذلك لا سيما في مولد أحمد البدوي فصرح رحمه الله بأن هذا النذر كفر يكفر به المسلم بعد اسلامه .

وقال الامام أبو بكر الطرطوشي المالكي في كتاب الباعث على انكار البدع والحوادث فانظروا الى حكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون شأنها ويوجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير وينوطون بها الخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها . قال ولقد أعجبني ما صنع الشيخ أبو اسحاق الجبيناني رحمه الله ببلاد افريقية في المائة الرابعة أنه كان الى جانبه عين تسمى عين العافية قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت امضوا بي الى العافية فتعرف بها الفتنة قال فأنا في السحر ذات ليلة اذ سمعت آذان أبي اسحق نحوها فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال اللهم اني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً فلم يرفع لها رأس الى الآن .

وقال الشيخ صنع الله الحلبي في كتابه الذي ألفه في الرد على من ادعى ان للأولياء تصرفاً في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفاً في حياتهم وبعد الممات ويستغاث بهم في الشدايد والبليات وبهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وجوزوا لهم الذبايح والنذور وأثبتوا لهم فيها الأجور قال وهذا الكلام فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك الأبدي . والعذاب السرمدي لما فيه من العذاب المحقق ومضادة للكتاب المصدق ومخالفة لعقايد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمه . ففي التنزيل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا الى أن قال

الفصل الأول فيما انتحلوه من الافك الوخيم والشرك العظيم وذكر أشياء يطول ذكرها فانظر كيف صرح هذا الشيخ ان من طلب كشف الشدائد وجلب الفوائد من الأولياء ودبح لهم ونذر لهم أن هذا من الشرك العظيم المخالف لعقايد المسلمين وانه موجب للهلاك الأبدي والعذاب السرمدي . وفي فتاوي البزازية من كتب الحنفية قال علماؤنا من قال أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر فان أراد بالعلماء علماء الشريعة فهو حكاية للاجماع على كفر معتقد ذلك وان أراد علماء الحنفية خاصة فهو حكاية لاتفاقهم على كفر معقتقد ذلك وعلى التقديرين تأمله تجده صريحاً في كفر من دعى أهل القبور لأنه ما دعاهم حتى أعتقد أنهم يعلمون ذلك ويقدرون على اجابة سوءاله وقضاء مأموله .

وقال شيخ الاسلام أبو العباس في الرسالة السنية فاذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من انتسب الى الاسلام قد مرق منه مع عبادته العظيمه فليعلم أن المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الاسلام وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الآية وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح كل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني وأغثني أو ارزقني أو اجبرني أو أنا في حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يدعى معه إله آخر والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلايق وتنزل المطر وتنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله رسله تنهى عن أن يدعي أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء مسئلة فتأمل ما صرح به هذا الشيخ في كلامه تجد مصداق ما ذكرنا وقد نص الحافظ أبو بكر أحمد بن علي صاحب كتاب الخطط في كتاب له في التوحيد على أن من دعى غير الله أشرك . وقال شيخ الاسلام رحمه الله من جعل بينه وبين الله وسايط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسئلهم كفر اجماعاً نقله عنه غير واحد من أئمة الحنابلة مقررين له منهم ابن مفلح في الفروع . وصاحب الانصاف . وصاحب الغاية . وصاحب الاقناع . وشارحوهم وغيرهم ونقله صاحب القواطع في كتابه وهو اجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين .

وقال ابن القيم رحمه الله في شرح المنازل ومن أنواعه أي الشرك طلب الحوايج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا اصل شرك العالم لأن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلا لمن استغاث به أو سئله أن يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فان الله سبحانه لا يشفع عند أحد الا باذنه والله سبحانه لم يجعل سؤال غيره لاذنه وانما السبب لاذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن والميت محتاج الى من يدعو له كما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم اذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم وندعو لهم ونسئل لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعادات أهل التوحيد ونسبتهم الى التنقص بالأموات وهم قد تنقصوا الخالق سبحانه بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا أو أنهم أمروهم به وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم ولله در خليله ابراهيم عليه السلام حيث قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيراً من الناس وما نجى من شرك هذا الشرك الأكبر الا من حدد توحيده لله وعادى المشركين لله وتقرب بمقتهم الى الله فتأمل كلام هذا الامام وتصريحه بأن من دعى الموتى وتوجه اليهم واستغاث بهم ليشفعوا له عند الله فقد فعل الشرك الأكبر الذي بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بانكاره على من لم يتب منه وقتاله ومعاداته وان هذا قد وقع في زمانه المتقدم وانهم غيروا دين الرسل وعادو أهل التوحيد الذين يأمرونهم باخلاص العبادة لله فتأمل قوله وما أعز من يتخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادي من أنكره يتبين لك الأمر ان شاء الله .

وقال في الاقناع وشرحه من جعل بينه وبين الله وسايط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعا لأن هذا كفعل عابدي الأصنام القائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهذا جماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين وقد نص العلماء أهل المذاهب الأربعة وغيرهم في باب حكم المرتد على أن من أشرك بالله فهو كافر أي عبد مع الله غيره وان كان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ويصلي ويصوم ويدعي الاسلام حتى أنهم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر به الرجل ويحل ماله ودمه ولم يرد في نوع منها ما ورد في الدعاء بل لا نعلم نوعاً من أنواع الكفر ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع أن دعاء الله عبادة له فيكون صرفه لغيره شركاً ولو ذهبنا نذكر أقوال العلماء وما قدروه في ذلك لاستدعي طولا وهذه الرسالة لا تحتمل بسطاً أكثر مما ذكرنا وقد ذكرنا ولله الحمد والمنة من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء ما فيه كفاية من قيام الحجة وصحت الدلالة على شرك أهل زماننا الذين يدعون الأشجار والأحجار والأحياء والأموات من دون الله . ولا يشتبه هذا الا على من لم يعرف حقيقة ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من التوحيد ولم يعرف حقيقة شرك المشركين الذين كفرهم النبي صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم وأموالهم وأمره الله أن يقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ونسئل الله الكريم رب العرش العظيم أن لا يجعلنا ممن قال فيهم أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خير الا سمعهم ولو أسمعهم لتولو وهم معرضون .

فصـل وأما قول القائل انما حمله على ذلك حطام الدنيا فنقول هذا بزعمه والزعم أكذب الحديث ومن شاهد حاله رحمه الله وعلم سيرته وما دعى اليه تبين له انما حمله العمل بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وقوله تعالى واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم وقعدوا لهم كل مرصد الآيات والآيات على هذا كثيرة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث بقضيب الأدب الضحوك القتال حيث قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي الحديث وخرج البغوي رحمه الله في معجمه حديثا مرفوعا ان الله بعثني بالهدى ودين الحق ولم يجعلني زراعاً ولا تاجراً ولا سخابا بالأسواق وجعل رزقي في رمحي وجاء في حديث مرسل أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا رسول الرحمة أنا رسول الملحمة ان الله بعثني بالجهاد ولم يبعثني بالزراع وفي الحديث الذي خرجه أبو داود وغيره اذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه من رقابكم حتى تراجعوا دينكم ولما عزم الأنصار على ترك الجهاد والاشتغال باصلاح أموالهم عاتبهم الله بقوله وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فلم يزل صلى الله عليه وسلم يدعو الله والى توحيده وعبادته وحده لا شريك له بالحجة والبيان . والسيف والسنان . وأخبر أن الجهاد ماض منذ بعثه الى أن يقاتل آخر أمته المسيح الدجال . وأخبر أن رأس الأمر الاسلام . وعموده الصلاة . وذروة سنامه الجهاد . وقال ان في الجنة لمائة درجة بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله متفق عليه وقال من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار أخرجه البخاري . وقال رباط يوم في سبيل الله خير

من الف يوم فيما سواه من المنازل رواه أهل السنن وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر ولم يرد في أبواب الأعمال وفضلها ما ورد فيه وهو ظاهر عند الاعتبار وان نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا فانه مشتمل على محبة الله والاخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال والقائم به من الشخص والأمة بين احدى الحسنيين اما الظفر والنصر وأما الشهادة والجنة فهذا هو الذي حمل شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه . على جهاد المشركين لا كما يقوله الجاهل الجبان الذي حمله على ذلك حطام الدنيا . ومن المعلوم أن المجاهد مسلم نفسه وما له لله وهذا هو حقيقة الزهد في الحياة الدنيا وحطامها وحقيقة الزهد في البقاء فيها كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

فليتأمل العاقل اللبيب ما أجل هذا العقد فان الله عز وجل هو المشتري والثمن الجنة والذي جرى على يديه هذا العقد أشرف الرسل من الملائكة ومن البشر وان سلعة هذا شأنها لعظيمة مهر الجنة والمحبة بذل النفس والمال لمالكها فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة بالله ما هزلت فيستامها المفلسون . وما كسدت فيفهقها بالنسبة المعسرون . فقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد لم يرض بها لها ثمن دون بذل

النفس فتأخر البطالون . وقام المحبون ينظرون أيهم أصلح أن تكون نفسه الثمن فدارت السلعة بينهم فوقعت في يد أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . ولما كثر المدعون للمحبة طلبوا باقامة البينة فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الأخرق حرفة الشيء فتنوع المدعون في الشهود فقيل لا تثبت هذه الدعوى الا ببينة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتأخر الخلق كلهم وأثبت اتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه وطولبوا بعدالة البينة فقيل لا تقبل العدالة الا بتزكية يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فتأخر أكثر المدعين للمحبة وقام المجاهدون فقيل لهم ان نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فسلموا ما وقع عليه العقد والتبايع يوجب التسليم من الجانبين فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان من غير خيار فلما تم العقد وأسلموا المبيع قيل قد صارت نفوسكم وأموالكم لنا والآن قد رددناها عليكم أو فر ما كانت وأضعاف أمثالها فسبحان من عظم جوده وكرمه ان يحيط به الخلايق فقد أعطى السلعة وأعطى الثمن . ووفق لتكميل العقد . وقبل المبيع على عيبه وأعطى عليه أجل الأثمان . وأثنى عليه ومدحه بهذا العقد وهو وفقه له وشاءالله له سبحانه وتعالى لقد حرك الداعي الى الله والى دار السلام النفوس الزاكية . والهمم العالية . وسمع نادي الايمان من كانت له أذن واعية سمع والله من كان حيا فهزه الى منازل الأبرار . ويحدي به في طريق سيره فما حطت رحاله الا بدار القرار . ولله در القائل حيث قال :

يا سلعة الرحمن أين المشتري   فلقد عرضت بأيسر الأثمان

يا سلعة الرحمن سوقك كاسد   بين الأراذل سفلة الحيوان

يا سلعة الرحمن ليس ينالها   في الألف الا واحد لاثنان

يا سلعة الرحمن لولا أنها حجبت بكل مكاره الانسان
ما كان عنها قط من متخلف وتعطلت دار الجزاء الثان
وتنالها الهمم التي تسمو الى رب العلى بمشيئة الرحمن
فاتعب ليوم معادك الأدنى تجد راحته يوم المعاد الثاني

والمقصود أن الشيخ رحمه الله لم يبدء الناس أولا بالتكفير والقتال بل دعاهم الى التوحيد وأخبر أن العبادة محض حق الله تعالى لا يصرف منها شيء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما وان ما يفعله غالب الناس من صرف العبادة لغير الله فهو شرك كما قدمنا وصاروا كما قال تعالى فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة وهو رحمه الله لا يكفر الا من كفره الله ورسوله وأجمع العلماء على تكفيره وبلغته الدعوة وقامت عليه الحجة التي يكفر من خالفها ويقتل وقد أجمع الأمة على جواز قتال الطائفة الممتنعة من فعل واجب مجمع على وجوبه ومن ترك محرم مجمع على تحريمه وان نطقوا بالشهادتين وادعوا الاسلام وانتسبوا اليه ولا ينكر هذا أحد عرف ما جاءت به الشريعة من الدين عملا بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فكيف بمن ترك دين الرسل من أولهم الى آخرهم الذي أنزلت لأجله الكتب وأرسلت لأجله الرسل . وخلقت الخليقة . وجردت سيوف الجهاد . وتفرق الناس عنده بين مسلم وكافر . ومعلوم بالاضطرار أن هذا أولى وأحرى أن يقاتل عليه وتجرد سيوف الجهاد لأجله ولا يقول لمن قام به قائم للدنيا وأشباه هذا الكلام الباطل الا رجل أعمى الله بصيرته . وغلبت عليه جهالته . هذا خطابنا عند من له عقل ولب وهو متصف بالانصاف . حائل عن التعصب والميل والاعتساف . يعرف الرجال بالحق . ولا يعرف

الحق بالرجال . ينظر الى ما يقال . لا الى من قال . وأما من شأنه لزوم مألوفه وعادته فهذا وأمثاله لا يخاطب الا بالسيف . حتى يستقيم أوده ويصلح معوجه ونسأل الله تعالى أن يفتح أبواب سمواته بجنوده القاهرة . ويعيد الكرة للعصابة المنصورة الظاهرة وينشر علم الجهاد . ويظهر الحق بالآيات الباهرة ويقيم عمود الكتاب بعد ميله ويرفع لواء الدين بقوته وحوله . ويرغم معاطس أهل الكفر والنفاق . ويجعل ذلك آية للمؤمنين الى يوم التلاق وأن يتم هذه النعمة العظيمة . بظهور الدعوة النبوية القويمة . ويشف صدور المؤمنين من أعاديهم . ويمكنهم من أقاصيهم ودانيهم انه على كل شيء قدير .

فصل . واما استدلاله على اسلام الأكثر بقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الأعظم فنقول هذا الاستدلال فاسد من أفسد الاستدلالات وذلك لسوء فهمه وقلة علمه . ومن المعلوم بالضرورة أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم قط بما يخالف القرآن ومحال أن يريد بقوله عليكم بالسواد الأعظم أنهم الأكثرون عددا وأن يأمر بالكينونة معهم وأتباع سبيلهم وقد أفصح القرآن بذمهم قال الله تعالى وان تطع أكثر من في الأرض يضلون عن سبيل الله وقال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال تعالى وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم ألوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وقال تعالى وقليل ما هم وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور ونظائر هذا كثير في القرآن يذم سبحانه الكثير ويمدح القليل أيظن عاقل أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم يأمر باتباع من ذمهم الله في كتابه يا سبحان الله ما أعجب جهله وسيء فهمه وقلة علمه وجرأته لأنا لا نعلم أحدا من أهل العلم استدل على اسلام الناس بكثرتهم مستفهما الدلالة من هذا الحديث الا هذا الجاهل المتخبط بل الصحيح عكس ما فهمه .

قال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر بن قيم الجوزيه في كتاب اعلام الموقعين . اعلم أن الجماعة والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وان كان وحده وان خالفه أهل الأرض

قال عمرو بن ميمون سمعت بن مسعود رضي الله عنه يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة وسمعته يقول سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن وقتها فصل الصلاة وحدك وهي الفريضة ثم صل معهم فانها لك نافلة فقلت يا أصحاب محمد ما أدري ما يتحدثون قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة ثم تقول صل الصلاة وحدك قال لقد أظنك من أفقه هذه القرية أتدري ما الجماعة قلت لا قال جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك .

قال نعيم بن حماد رحمه الله اذا فسدت الجماعة فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تفسد وان كنت وحدك فأنت الجماعة حينئذ .

قال بعض الأئمة وقد ذكر السواد الأعظم أتدري ما السواد الأعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجمهور والجماعة فجعلهم المتحذلقون عارا على السنة وجعلوا السنة بدعة وجعلوا المعروف منكرا لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار وقالوا من شذ شذ في النار ولم يعرف المخذولون أن الشاذ من خالف الحق

وان كان الناس كلهم الا واحدا فهم الشاذون وهو الجماعة وقد شذ الناس في زمان الامام أحمد بن حنبل الا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة وكان القضاة والمفتون والخليفة وأتباعهم هم الشاذون وكان الامام أحمد وحده هو الجماعة ولما لم تحمل ذلك عقول الناس قالوا للخليفة يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع علمه لذلك فأخذوه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلا اله الا الله ما أشبه الليلة بالبارحة انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى . فمن فهم ما ذكره الله في كتابه في ذم الأكثر ومدح الأقل وفهم كلام الصحابة كابن مسعود في تفسير السواد الأعظم وفهم كلام التابعين والسلف الصالح والمتأخرون في ذلك عرف فساد قوله وسوء فهمه أن السواد الأعظم أنه الأكثر وعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد بالسواد الأعظم أهل الحق وان كانوا قليلين عدداً فهم الأعظمون عند الله قدراً ويزيد المسئلة وضوحاً ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الواردة في غربة الاسلام وأهله روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وخرجه الامام أحمد وابن ماجة من حديث بن مسعود بزيادة في آخره فقيل يا رسول الله ما الغرباء قال النزاع من القبائل وخرجه أبو بكر الآجري وعنده قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وخرجه غيره وعنده الذين يفرون بدينهم من الفتن وخرجه الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الدين بدأ غريباً وسيرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي وخرجه الطبراني من حديث جابر بن عبد الله وعنده قيل من هم

يا رسول الله قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وخرجه أيضاً من حديث شريك بن مسعود بحوه وخرجه الامام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص وفي حديثه فطوبى يومئذ للغرباء اذا فسد الناس وخرجه الامام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طوبى للغرباء قلنا وما الغرباء قال قوم صالحون قليل في قوم سوء كثير من يعصيهم أكثر مما يطيعهم وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً في هذا الحديث قال ومن الغرباء قال الغرارون بدينهم يبعثهم الله تعالى مع عيسى بن مريم عليه السلام .

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ بن رجب رحمهم الله قوله صلى الله عليه وسلم بدأ الاسلام غريباً يريد أن الناس كانوا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم على ضلالة عامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن حمار رضي الله عنه الذي خرجه مسلم أن الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعى الى الاسلام لم يستجب له في أول الأمر الا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة وكان المستجيب له خائفاً من عشيرته وقبيلته يؤذى غاية الأذى وينال منه وهو صابر على ذلك في الله عز وجل . وكان المسلمون اذ ذاك مستضعفين يشردون في كل مشرد . ويهربون بدينهم الى البلاد النائية كما هاجروا الى الحبشة مرتين ثم هاجروا الى المدينة وكان منهم من يعذب في الله ومنهم من يقتل فكان الداخل في الاسلام حينئذ غرباء ثم ظهر الاسلام بعد الهجرة وعزو ظهر أهله ظاهرين كل الظهور ودخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجاً وأكمل الله لهم الدين وأتم عليهم النعمة وتوفي رسول الله صلى الله عليه

وسلم والأمر على ذلك وأهل الاسلام على غاية من الاستقامة في دينهم وهم متعاضدون متناصرون وكانوا على ذاك في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم استعمل الشيطان مكائده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم وأفشى بينهم فتنة الشبهات والشهوات ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايد شيئاً فشيئاً حتى استحكمت مكيدة الشيطان اطاعه أكثر الخلق فمنهم من دخل في فتنة الشبهات ومنهم من دخل في فتنة الشهوات ومنهم من جمع بينهما وكل ذلك مما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعه ووقع الأمر كما أخبر فلم ينج من هذا الا نفر يسير فرقة واحدة وهي الفرقة الناجية وهم المذكورون في هذه الأحاديث الذين يصلحون اذا فسد الناس وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة وهم الغرباء الفرارون بدينهم من الفتن وهم النزاع من القبائل لأنهم قلوا فلا يوجد في القبيلة منهم الا واحداً اواثنان وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم أحد كما كان الداخلون في أول الاسلام في أول الأمر كذلك وبهذا فسرت الأمة هذا الحديث ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف كثير مدح السنة ووصفها بالغربة ووصف أهلها بالقلة ، فكان الحسن رحمه الله يقول لأصحابه : يا أهل السنة ترفقوا فانكم من أقل الناس . وقال يوسف بن عبيد ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها وعن سفيان الثوري رحمه الله قال : استوصوا بأهل السنة خيراً فانهم غرباء ومراد هؤلاء الأئمة رحمم الله بالسنة طريق النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات كما قال الحسن ويوسف وسفيان والفضيل وغيرهم ولهذا وصف أهلها بالغربة في آخر الزمان لقلتهم وغربتهم فيه كما سبق في بعض طرق الحديث هم قوم صالحون قليل في قوم سوء كثير من

يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ثم ذكر أحاديث في هذا الشأن لم تتسع لها هذه الرسالة . وبالجملة ان من فهم ما ذكره الله تعالى في ذم الأكثر ومدح الأقل وما ذكره السلف الصالح والتابعون والأئمة في تفسير السواد الأعظم والجماعة انه من كان على الحق وان كان وحده عرف أن الذي فهمه هذا الجاهل انه باطل مخالف لكلام الله وكلام رسوله والسلف الصالح وتبين له سوء فهمه وقلة علمه ورأيه .

ولله در القائل حيث يقـول

مـن أيـن أنتم والحديث وأهله	والـرأي أيـن الرأي والقـرآن
تبـاً لـكم لـو تعلمـون لكنتم	خلف الخدور كأضعف النسوان

فصل وأما قوله في قوله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلالة فنقول الحمد لله ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ونؤمن به وندين الله به وهو حجة لنا بحمد الله ومراده صلى الله عليه وسلم بأمته التي لا تجتمع على ضلالة هم الفرقة الناجية وهم الجماعة وهم السواد الأعظم وهم الذين كانوا على ما كان عليه هو وأصحابه من التوحيد واخلاص الدين لله وحده وترك عبادة ما سواه فهؤلاء هم الذين كانوا لا يجتمعون على ضلالة لا ما يظنه ويزعمه هذا الجاهل المشبه انهم الذين جمعوا بين الشرك والبدع ولم يعرفوا ما بعث الله به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق . وهذا في غاية الوضوح والنصوص مصرحة به وأهل السنة والجماعة مجمعون عليه ولا يشكل هذا الا على من أعمى الله بصيرته . وأزاغ قلبه حتى استحسن ما عليه أهل زمانه من الأوضاع البدعية . والأفعال الشركية وصار عنده المعروف منكراً والمنكر معروفاً . والسنة بدعة والبدعة سنة عياذاً بك اللهم من موجبات غضبك وأليم عقابك .

ويقال أيضاً اذا كنت تزعم أن دعاء الأشجار والأحجار والقبور أمر جائز عند الأمة المعصومة عن الاجتماع على ضلالة وأمكنك أن تأتينا عن أحد من الأئمة المقتدى بهم بنقل صحيح أو عبارة أو حرف واحد فافعل .

وقوله أمتي لا تعبد شمشاً ولا قمراً فنقول أمته صلى الله عليه وسلم الذين لا يعبدون شمساً ولا قمراً هم الذين لا يجتمعون على ضلالة وهم الذين كانوا على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنه من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام أن من عبد مع الله غيره فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالنص والاجماع . والشرك يحصل بعبادة غير الله مطلقاً سواء عبد شمساً أو قمراً أو شجراً أو حجراً أو قبراً وان الله بريء منه كما قال تعالى ان الله بريء من المشركين ورسوله فهذا الجاهل الملبس على الناس مراده من هذا القول أن الشرك لا يقع في هذه الأمة وان ما يفعله أهل هذا الزمان من دعوة غير الله والتعلق على أهل القبور والأشجار والأحجار وغيرها ليس بشرك وانهم لم يكونوا مشركين الا بعبادة الشمس والقمر . سبحان الله ما أجهل هذا القائل وأجرأه . كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون . .

ومما يزيل شبهته ويدحض حجته ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعه من الشرك في هذه الأمة في الأحاديث الصحيحة الصريحة منها ما رواه امام أهل السنة والحديث محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه قال باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان وذكر السند الى أن قال عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات نساء دوس عند ذي الخلصة قال وذو الخلصة طاغية دوسى التي كانوا يعبدونها في الجاهلية . ومنها ما رواه مسلم في

صحيحه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى . ومنها ما رواه الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب البرقاني الشافعي في صحيحه بسنده عن توبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تغير فئام من أمتي الأوثان الى آخره ورواه بن ماجة بنحوه وفي رواية أبي داود ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين .

قال أبو السعادات الفئام الجماعات الكثيرة ففي هذه الأحاديث الرد على الذين ينكرون وقوع الشرك وعبادة الأوثان في الأمة ويزيد ذلك وضوحاً وبياناً قوله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا . وقوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل فأخبر تعالى أن في بني اسرائيل من آمن بالجبت وعبد الطاغوت ولا بد من وقوع ما فعلت بنو اسرائيل في هذه الأمة لما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفي بعض سياق الحديث لمسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع الحديث وفي حديث آخر لو كان فيهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وفي حديث آخر لو كان أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه فأخبر صلى الله عليه وسلم في هذه

الأحاديث وغيرها أن أمته ستفعل ما فعلته اليهود والنصارى وفارس والروم من الأديان الباطلة والعادات الفاسدة فمن فهم ما أخبر الله به في كتابه وأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى الواقع من غالب الناس عرف مصداق ما أخبر بوقوعه صلى الله عليه وسلم لأن الأمر وقع كما أخبر وتبين له فساد احتجاج هذا الملبس الصاد عن سبيل الله .

فرحم الله بن القيم حيث قال

يا أمة لعبت بدين نبيها	كتلاعب الصبيان في الأوجال
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم	نبذ المسافر فضلة الأكال
ان قلت قال الله قال رسوله	همزوك همز المنكر المتعال
أو قلت قد قال الصحابة والأولى	تبعوهم في القول والأعمال
أو قلت قال الآل آل المصطفى	صلى عليه الله أفضل آل
أو قلت قال الشافعي وأحمد	وأبو حنيفة والامام العال
أو قلت قال صحابهم من بعدهم	فالكل عندهم كشبه خيال
ويقول قلبي قال لي عن سره	عن سر سري عن صفى أحوال
عن حضرتي عن فكرتي عن خلوتي	عن شاهدي عن وادري عن حال
عن صفو وقتي عن حقيقة مشهدي	عن سر ذاتي عن صفات فعال
دعوى اذا حققتها ألفيتها	القاب زور لفقت بمحال
تركوا الحقائق والشرائع واقتدوا	بظواهر الجهال والضلال
أشبهتموا أهل الكتاب بدينكم	والله لن يرضوا بذي الأفعال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى	وحشوا بواطنهم من الأدغال
لا يسمعون سوى الذي يهوونه	شغلا به عن سائر الأشغال

هجروا لـه القرآن والأخبار والآ ثار إذ شهدت عليهم بضلال
ودعوا الى ذات اليمين فأعرضوا عنها وسار القوم ذات شمال
خروا على القرآن عند سماعه صماً وعمياناً ذوي اهمال
تالله لو كانوا صحاة أبصروا ماذا دهاهم من قبيح فعال
شيخ قديم صادهم بتحيل حتى أجابوا دعوة المحتال
تالله ما ظفر العدو بمثلها من مثلهم واخيبة الآمال

فصل وأما قوله وقال أيضاً من دخل مسجدنا وصلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو مسلم فنقول ان الواجب على العبد أن يعلم أن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم باذنه وسراجاً منيراً فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة . وما من شيء يقرب من الجنة ويبعد من النار الا وقد بينه لأمته وأمرها به . وما من شيء يقرب من النار ويبعد من الجنة الا بينه لأمته ونهاها عنه فصلاة الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين فلما أكمل الله له الدين وأتم نعمته على المسلمين أنزل عليه عشية عرفه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا . وما مات صلى الله عليه وسلم الا وهو تارك أصحابه على المحجة البيضا ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك فمن فهم هذا فهماً حسناً وعرف سيرته وهديه الذي كان عليه هو وأصحابه ومن حكم باسلامه ومن لم يحكم باسلامه ومن أحل دمه ومن لم يحل دمه ومن حرم دمه ومن لم يحرم دمه عرف فساد قول هذا الضال الملبس حيث استدل بحديث لم ينظر الى ما قبله والى ما بعده .

ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجعل مجرد دخول المساجد واستقبال القبلة كافياً في حصول

الاسلام مع عدم التوحيد والعمل به ولا أحداً من المسلمين من الصحابة والتابعين ولا أحداً من أئمة المسلمين في جميع المذاهب بل من المعلوم أن الاسلام مبني على خمسة أركان معلومة ثابتة بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية فأعظم أركان الاسلام أولها وهو التوحيد إفراد الله بالوحدانية في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وافراده بأنواع العبادة ونفي المشاركة عنه نفياً مطلقاً وهذا شرط في صحة جميع الأعمال وقبولها وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم كلهم . فاذا فهمت أن العبد لو صلى الليل وصام النهار وزهد في الدنيا وأنفق جميع ما يملكه ولم يكن موحداً لم يصح له عمل ولم يقبل منه عرفت أن نفس دخول المساجد واستقبال القبلة لم يكن سبباً لعصمة الدم والمال ولم يكن هذا اسلاماً كما يقوله هذا الجاهل الملبس على العوام .

ومما يكشف عن فساد شبهته وادحاض حجته ما سنذكره ان شاء الله من الأدلة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين واجماع الأمة في قتال من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ويصلي الصلاة ويستقبل القبلة ويدخلون المساجد اذا أتى بمبيح يوجب ذلك .

الدليل الأول أنه صلى الله عليه وسلم بعث مصدقاً الى بني المصطلق ليأخذ صدقاتهم وكان بينه وبينهم عدواة في الجاهلية فلما سمع القوم تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني المصطلق منعوني صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد أن يغزوهم وكان الرجل كاذباً عليهم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية . فهؤلاء يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدخلون المساجد ويدعون

الاسلام فلو كان مجرد دخول المساجد وفعل الصلاة واستقبال القبلة يحصل به اسلام لكان هؤلاء يفعلون ذلك ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ليغزوهم .

الدليل الثاني أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن رجلا تزوج امرأة أبيه بعث اليه بالراية فقال الترمذي في سننه رحمه الله باب من تزوج امرأة أبيه قال حدثنا أبو سعيد الأشبح ثم ذكر بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث الى رجل تزوج امرأة أبيه بالراية الحديث فدل هذا على أن الرجل اذا أظهر الاسلام ثم أتى بما يبيح دمه وماله فانه هدر فكيف اذا أتى بما يناقض التوحيد ويخرج به من الاسلام أيكون ذلك معصوماً بمجرد فعل الصلاة واستقبال القبلة ودخول المساجد

الدليل الثالث ما وقع في زمن الخلفاء الراشدين وذلك أنه لما مات صلى الله عليه وسلم ارتد غالب من أسلم وحصلت فتنة عظيمة ثبت الله فيها من أنعم عليه بالثبات بسبب أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه قام فيها قياماً لم يدانه فيه أحد من الصحابة ذكرهم ما نسوا وعلمهم ما جهلوا وشجعهم لما جبنوا فثبت الله به دين الاسلام وصورة الردة أن العرب افترقت في ردتها فمنهم من رجع الى عبادة الأصنام وقالوا لو كان نبياً ما مات ومنهم من قال نؤمن ولا نصلي ومنهم من أقر بالاسلام وصلى ولكن منع الزكاة ومنهم من أقر بالشهادتين وصلى وصام وادعى الاسلام ولكن صدق مسيلمة في دعواه النبوة ومنهم من صدق الأسود العنسي صاحب صنعا في دعواه النبوة ومنهم من صدق طليحة الأسدي فأجمع الصحابة على كفرهم وردتهم وعرفوا وجوب قتالهم فقاتلوهم ونصرهم الله عليهم فقتلوا من قتلوا من رجالهم وسبوا نسائهم وعياهم ولم يشك أحد من الصحابة في كفر من ذكرنا وجعلوهم كلهم في حالة واحدة مع نطقهم

بالشهادتين واتيانهم بالصلاة واستقبالهم القبلة ودخولهم المساجد وادعائهم الاسلام الا ما كان من مانعي الزكاة لما عزم أبو بكر رضي الله عنه قتالهم فقال له عمر كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا قالوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم الا بحقها فقال أبو بكر رضي الله عنه لا قاتلت من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة من حقها والله لو منعوني عقالا وفي لفظ عناقاً كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه فقال عمر رضي الله عنه فوالله ما هو الا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ومسلم في كتاب الايمان فزالت الشبهة عنهم وأجمع الصحابة وأهل العلم من بعدهم على تصويب قول أبي بكر في ذلك وجعلوها من أكبر فضائله وعلمه حيث لم يتوقف في قتالهم أول وهلة وعرفوا عزارة فهمه في استدلاله عليهم بالدليل الذي أشكل عليهم بعينه مع أن المسئلة موضحة في القرآن والسنة فليتأمل العاقل الناصح لنفسه لقصة واحدة منها وهي قصة بني حنيفة وهم أشهر أهل الردة عند العامة وأعظمهم كفراً وهم مع ذلك يشهدون أن لا الا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون ويقرون القرآن ويدعون الاسلام فان قيل انهم يقولون مسيلمة نبي قلنا هذا هو المطلوب اذا كان من رفع رجلا في مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم كفر وحل دمه وماله ولم تنفعه الشهادتان ولا استقباله القبلة ولا ادعاؤه الاسلام فكيف بمن رفع قوران وشمسان وبركان وأمثالهم في مرتبة الملك الديان وصرف لهم خالص حق الله تعالى وطلب منهم ما لا يقدر عليه الا الله سبحان الله ما أعظم شأنه كذلك يطبع الله

على قلوب الذين لا يعلمون .

الدليل الرابع ما وقع أيضاً في زمن الخلفاء الراشدين وهي أن بقايا من بني حنيفة لما رجعوا الى الاسلام وتبروا من مسيلمة كبر ذنبهم في أنفسهم وتحملوا بأهليهم الى الثغر لأجل الجهاد في سبيل الله لعل الله يمحوا عنهم تلك الردة لأن الله تعالى يقول الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى . فنزلوا الكوفة وصار لهم بها محلة معروفة ومسجد يسمى مسجد بني حنيفة فمر بعض المسلمين على مسجدهم بين المغرب والعشاء فسمع من بعضهم كلاماً ما معناه أن مسيلمة على حق وهم جماعة كثيرون لكن الذي لم يقل لم ينكر على من قاله فرفع أمرهم الى ابن مسعود فجمع من عنده من الصحابة واستشارهم هل يقتلهم وان تابوا أو يستتبهم فأشار بعضهم بقتلهم وأشار بعضهم باستتابتهم فاستتاب بعضهم وقتل بعضهم ولم يستتبه .

فليتأمل العاقل المريد معرفة الحق إذا كان هؤلاء قد أظهروا الاسلام والأعمال الصالحة الشاقة ما أظهروا ولم يظهره منهم الا كلمة أخفوها في مدح مسيلمة فسمع بها بعض المسلمين فلم يتوقف أحد من الصحابة وغيرهم في كفر المتكلم والحاضر الذي لم ينكر والقصة في صحيح البخاري فأين هذا من كلام من يزعم أنه من العلماء ويقول ان هؤلاء المعتقدون في الأشجار والأحجار وأهل القبور وغيرها مسلمون بلا ريب لأنهم يقولون لا اله الا الله ويدخلون المساجد ويستقبلون القبلة فحكم باسلامهم بذلك أين هذا مما أجمع عليه الصحابة في من قال تلك الكلمة أو حضرها ولم ينكر نعوذ بك اللهم أن نكون ممن قلت فيهم فلما أضأت ما حوله ذهب

الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون.

الدليل الخامس ما وقع أيضاً في زمن الخلفاء الراشدين وهي قصة أصحاب علي لما اعتقدوا فيه الالهية التي تعتقد اليوم في أناس من أكفر بني آدم وأفسقهم فدعاهم علي رضي الله عنه الى التوبة فأبو فأخد لهم الأخاديد وملأها حطباً وأضرم فيها النار وقذفهم فيها وهم أحياء .

ومعلوم أن الكافر مثل اليهودي والنصراني اذا أمر الله بقتله لا يجوز احراقه بالنار فعلم أنهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى هذا وهم يقومون الليل ويصومون النهار ويقروئن القرآن أخذين له من الصحابة فلما غلو في علي ذلك الغلو حرقهم بالنار وهم أحياء وأجمع الصحابة وأهل العلم كلهم على كفرهم فأين هذا ممن يجعل عباد القبور والأشجار والأحجار مسلمون لأنهم يقولون لا اله الا الله ويستقبلون القبلة ويدخلون المساجد . واعلم أن جناية هؤلاء على الألوهية لا علمنا لهم جناية على النبوة والذين قبلهم جنايتهم على النبوة ولا علمنا لهم جناية على الألوهية . فهذا مما يبين لك معنى الشهادتين اللتين هما أصل الاسلام .

الدليل السادس ما وقع في زمن الصحابة أيضاً وهو أن المختار بن عبيد وهو رجل من التابعين مصاهر لعبد الله بن عمر رضي الله عنه مظهر للصلاح فظهر في العراق يطلب بدم الحسين وأهل بيته فقتل ابن زياد ومال اليه من مال لطلبه دم أهل البيت ممن ظلمهم فاستولى على العراق وأظهر شرايع الاسلام ونصب القضاة والمفتين والأئمة من أصحاب ابن مسعود وكان هو الذي يصلي بالناس الجمعة والجماعة لكن في آخر عمره زعم أنه يوحى اليه فسير اليه عبد الله بن الزبير جيشاً فهزموا جيشه وقتلوه وأمير الجيش مصعب بن الزبير وتحته امرأة أبوها بعض الصحابة فدعاها مصعب الى تكفيره فأبت فكتب الى أخيه عبد الله يستفتيه فيها فكتب

اليه ان لم تتبرأ منه فاقتلها فامتنعت فقتلها مصعب بن الزبير وأجمع الصحابة كلهم على كفر المختار بن عبيد مع اقامته شرايع الاسلام لما جنى على النبوة فاذا كان الصحابة قتلوا المرأة التي هي من بنات الصحابة لما امتنعت من تكفير زوجها المختار فكيف بمن لم يكفر المشركين مع معرفته بما هم عليه من الجناية على الألوهية ويزعم أنهم مسلمون بلا ريب وأن من دعاهم الى اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ليس بمسلم فهل هذا الامسخ القلوب . يا ربنا نسألك العفو والعافية .

الدليل السابع ما وقع في زمن التابعين وذلك أن الجعد بن درهم كان من أشهر الناس في زمانه بالعلم والعبادة فلما جحد شيئاً من صفات الله عز وجل مع كونها مقالة خفية عند الأكثر ضحى به خالد القسري يوم عيد الأضحى فقال يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم فانه يزعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه ولم نعلم أحدا من العلماء أنكر ذلك بل ذكر ابن القيم قدس الله روحه ونور ضريحه اجماعهم على استحسان ذلك فقال شكر الضحية كل صاحب سنة . لله درك من أخي قربان . فاذا كان هذا رجل من أشهر أهل العلم والعبادة أخذ العلم عن الصحابة أجمعوا على استحسان قتله فأين هذا من اعتقاد أعداء الله في عباد القبور والأوثان انهم مسلمون بلا ريب .

الدليل الثامن قصة بني عبيد بن ميمون القداح فانهم ظهروا على رأس المائة الثالثة فادعى عبيد أنه من آل علي من ذرية فاطمة وتزي بزي الطاعة والجهاد في سبيل الله فتبعه أقوام من أهل المغرب وصارت لهم دولة كبيرة في المغرب ولأولاده من بعده ثم ملكوا مصر والشام وأظهروا شرايع الاسلام واقامة الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين لكن أظهروا

شيئاً من مخالفة الشريعة وظهر منهم ما يدل على نفاقهم فأجمع أهل العلم أنهم كفار وأن دارهم دار حرب مع اظهارهم شرايع الاسلام وفي مصر من العلماء والعباد ناس كثير وأكثر أهل مصر لم يدخل معهم فيما أحدثوه ومع ذلك أجمع العلماء على ما ذكرنا حتى أن بعض أكابر أهل العلم المعروفين بالصلاح قال لو أن معي عشرة أسهم لرميت بواحدة النصارى المحاربين ورميت بالتسعة في بني عبد .

ولما كان في زمن السلطان محمود بن زنكي أرسل اليهم جيشاً عظيماً فأخذوا مصر من أيديهم ولم يتركوا جهادهم لأجل ما فيها من الصالحين فلما فتحها السلطان محمود فرح المسلمون بذلك وصنف ابن الجوزي رحمه الله في ذلك كتاباً سماه النصر على فتح مصر وأكثر العلماء التصانيف والكلام في كفرهم مع ما ذكرنا من اظهارهم شرايع الاسلام الظاهرة فانظر ما بين هذا وبين من يحكم باسلام عباد القبور والأشجار والأحجار بمجرد قولهم لا اله الا الله ودخول المساجد واستقبالهم القبلة مع اقامتهم على الاشراك بالله وصرف خالص حقه تعالى لغيره فسبحان مقلب القلوب .

الدليل التاسع قصة التتار وذلك أنهم بعد ما فعلوا بالمسلمين ما فعلوا وسكنوا بلاد المسلمين وعرفوا دين الاسلام استحسنوه وأسلموا لكن لم يعملوا بما يجب عليهم وأظهروا شيئاً من الخروج عن الشريعة مع تكلمهم بالشهادتين واتيانهم بالصلاة واستقبالهم القبلة ودخولهم المساجد ومع هذا كفرهم العلماء وقاتلوهم وغزوهم حتى أزالهم الله عن بلاد المسلمين

الدليل العاشر اجماع العلماء على كفر من أنكر فرعاً مجمعاً عليه مع ادعائه الاسلام ونطقه بالشهادتين واتيانه بالصلاة واستقباله القبلة ودخوله المساجد فلم ينفعه ذلك ولو ذكرنا ما جرى من السلاطين والقضاة

من قتل من يظهر شعائر الاسلام اذا تكلم بكلام كفر وقامت عليه البينة أنه يقتل مع أن في هؤلاء المقتولين من هو أعلم الناس وأزهدهم وأعبدهم مثل الحلاج وهو من الفقهاء المصنفين كالفقيه عمارة فلو ذكرنا قصص هؤلاء لاحتمل مجلدات ولا نعرف منهم رجلا واحدا بلغ كفره كفر عباد القبور والأشجار والأحجار من أهل زماننا ومع هذا كله يحكم من طبع الله على قلبه باسلامهم بمجرد استقبالهم القبلة واتيانهم بالصلاة ودخولهم المساجد ومن العجب أن الكتب التي بأيديهم يزعمون أنهم يعرفونها ويعملون بما فيها مذكور فيها مسائل الردة وموضح فيها بيان ما ذكرناه وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله . وأما من أراد الله فتنته فلو تناطحت الجبال بين يديه لم ينفعه ذلك . كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم .

فصل وأما قوله ولو كان لهم حق لما انقطعوا فنقول هذا دليل على جهله وسوء فهمه وقلة علمه ان الواجب على العبد التسليم لأمر الله والايمان بقدره والرضا بقضائه ويعلم أن الله رب كل شيء وخالقة ولا رب غيره ولا خالق سواه وأنه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن وان جميع ما في السموات والأرض من الأعيان وصفاتها وحركاتها وسكناتها فهي مخلوقة مقدرة له مصرفة بمشيئته وكلما يكون في الوجود فهو بقضاء الله وقدره لا يخرج أحد عن القدر المقدور . ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور وليس لأحد على الله حجة بل لله الحجة فلو شاء لهداكم أجمعين فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل وكلما وقع في العالم من خير وشر فقد سبقت به المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام قال تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب

قبل أن نبرئها ان ذلك على الله يسير وقال تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهدي قلبه قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم والايمان بالقدر والرضاء به والعمل بالشرع طريق أهل الاسلام والايمان والاحتجاج بالقدر على الشرع طريق أهل الزيغ والطغيان .

فاذا فهمت هذا فاعلم أن ما تجري به الأقدار من الحكم في الخلق من عز وذل وحياة وموت واعطاء ومنع . وخفض ورفع لا يدل على كون الشيء حقاً أو باطلا والحق والباطل انما يعرف من جهة الشريعة فما ثبت بها أنه حق فهو حق ولو صلبوا أهله في جذوع النخل وخدت لهم الأخاديد ونشروا بالمناشير وما ثبت بها أنه باطل فهو باطل ولو بلغ أهله في القوة والملك مثل عاد التي لم يخلق مثلها في البلاد .

وقول القائل حتى صار عليهم ما صار ولما سلط عليهم الكافر فهذا قول باطل لا يقوله الا جاهل محتج على الله بقضاه ومعارض لشرعه بقدره

ومما يبين بطلانه تأمل ما قص الله تعالى عن نوح عليه السلام وما جرى عليه من قومه . وخليل الرحمن عليه السلام . وما جرى عليه من قومه . وموسى عليه السلام . وما جرى عليه من قومه . والسحرة وما جرى عليهم لما آمنوا وعيسى عليه السلام . وما جرى عليه من قومه . حتى رفعه الله وزكريا ويحيى عليهما السلام وما جرى عليهما من القتل . وأصحاب الأخدود وما جرى عليهم لما آمنوا . ونظائر ذلك أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر . فمنها ما رواه أبو عبيدة بن الجراح قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى قوله وما لهم من

ناصرين . قال يا أبو عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل وسبعون رجلا من بني اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله عز وجل وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيد الوصابي محمد بن حفص عن جبير عن أبي الحسن مولى بني أسد مكحول به وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قتلت بنو اسرائيل ثلاث مائة نبي من أول النهار وأقاموا سوق بقلهم من آخره رواه ابن أبي حاتم فهل يجوز لعاقل أن يقول لو كان هؤلاء المقتولون من الأنبياء وأتباعهم على حق لما سلط عليهم ولما انقطعوا .

ومن المعلوم أنه لا يقوله عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر ومنها ما رواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى قال أنبأنا بن وهب قال أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال سمعت بن المسبب يقول ظهر بخت نصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلي فقال ما هذا فقالوا أدركنا أباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الليل ظهر فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم فسكن وهذا هو المشهور أنه قتل أشرافهم وعلماءهم حتى لم يبق من يحفظ التوراة وأخذ منهم خلقاً كثيراً أسراً من أبناء الأنبياء وغيرهم وجعلهم خدماً للمجوس . ومكث سبعين سنة وقيل مائة سنة مفسد في الأرض المقدسة جاعلا المسجد الحرام مربطاً للخيل والبغال والحمير لا يذكر الله فيه هذه المدة الطويلة استهانة به وبحرمته وجرت أمور يطول ذكرها وهي مذكورة على صدر سورة الأسرى فمن أراد معرفة تفصيل ذلك فليراجعه في مضانه فمن عرف ما جرى على هؤلاء من القتل والأسر وتسليط الكافر عليهم مع أنهم أولاد الأنبياء وأهل الشرايع عرف فساد

قوله واحتجاجه بقوله لو كان لهم حق لما انقطعوا .

ومنها ما جرى على رسول رب العالمين وسيد المرسلين . وصفوة الخلق أجمعين من الابتلاء والامتحان لما دعى الى اخلاص العبادة لله وترك عبادة ما سواه كا حصاره في الشعب وتطريد أصحابه الى الحبشة والجائه وصاحبه في غار ثور واخراجه من مكة الى المدينة ثم تحزيبهم عليه فيها ثم جرت أمور يطول ذكرها وهي غير خفيه على من عرف هديه وسيرته فاذا كان هذا القدر يجري على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فعلى من دونهم من المسلمين القائمين بدعوته المنتسبين الى دينه وهديه أولى وأحرى فلا يظن عاقل أن أهل قرن ثلاثة عشر قرناً أعقل وأصلح من القرن الأول ومن كان له أدنى عقل ومعرفة لم يقل أن هؤلاء الأنبياء وأتباعهم ممن ذكرنا لو كانوا على حق لما جرى عليهم ما جرى وان أعدائهم على حق لطغيانهم وغلبتهم على أولئك . ومن المعلوم أنه لا يقول هذا رجل عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر .

ومع هذا كله فالدين ولله الحمد عزيز منيع لا يضام ولا يرام يعلو ولا يعلى عليه الى يوم القيمة . وقوله هذا قول من لا بصيرة له ونظره مقصور على دنياه وفي أمثال هذا قال الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان صاحبه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وقد جرت عادة الرب جل جلاله أنه يبتلي عباده ثم يحسن لهم العاقبة كما قال تعالى لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذا كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور والابتلاء في الغالب يدل على محبة الله للمبتلي اذا اقترن مع الصبر على بلاء الله الرضاء بقضاء الله كما قال صلى الله عليه وسلم

ان الله اذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى المرء على حسن دينه فان كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء وان كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي في الأرض وما عليه خطيئه .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن من ادعى الايمان فلا بد أن يبتليه كما قال تعالى الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . وقال تعالى مخاطباً لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب . ولم يزل العبد متقلباً بين أحوال ثلاثة نعمة من الله تترى عليه فيجب عليه فيها الشكر . وابتلاء من الله فيجب عليه الصبر . وذنوب يقترفها فيلزمه منها أن يستغفر . فمن كانت هذه صفاته فكلما أصابه من نفوذ القضاء والقدر فهو خير له كما قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن من قضاء الا كان خيراً له وليس ذلك الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له والابتلاء الذي يصيب المؤمن في الله لا يخرج عن أقسام أربعة فاما أن يكون في نفسه أو في ماله أو في عرضه أو في أهله ومن يحب . فهذا مجموع ما يبتلى به العبد في الله وأشد هذه الأقسام المصيبة في النفس ومن المعلوم أن الخلق كلهم يموتون كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون . وهذا غاية المؤمن المبتلى في نفسه أن يستشهد في الله وتلك أشرف الموتات وأسهلها وأفضلها

وأعلاها لما رتب الله عليها من النعيم المقيم والثواب العظيم ولا تبلغ درجة الشهادة الا بادالة العدو على هذا المؤمن وغلبته عليه . فمن جعل هذا الابتلاء دليلا على بغض الله للمبتلى فانه مشؤم محروم لكن مما ينبغي فهمه أن المؤمن ما يؤتى الا من قبل نفسه كما قال تعالى أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وقال تعالى وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجون فاقتضت الحكمة الالهية أن المؤمنين يدالون تارة ويدال عليهم أخرى لما له في ذلك من الحكم والأسرار العظيمة التي لا يعلم تفصيلها الا الله فمنها استخراج عبوديتهم وذلهم وانكسارهم له وافتقارهم اليه وسؤاله نصره على أعدائهم ولو كانوا دائماً منصورين قاهرين غالبين بطروا واشروا ولو كانوا دائماً مقهورين مغلوبين لما قامت للدين قائمة ولا قامت للحق قائمة فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن صرفهم بين غلبهم تارة وكونهم مغلوبين تارة فاذا غلبوا تضرعوا الى ربهم وأنابوا اليه وخضعوا له وانكسروا له وتابوا اليه واذا غلبوا أقاموا دينه وشعائره وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وجاهدوا عدوهم ونصروا أبائهم . ومنها أنه يتميز بذلك من يريد الله ورسوله ومن ليس له مراداً إلا الدنيا والجاه

ومنها أنه سبحانه يحب من عباده تكميل عبوديته في السراء والضراء وفي حال العافية والبلاء وفي اداالتهم والادالة عليهم فلله سبحانه على العباد في كلتا الحالتين عبودية بمقتضى تلك الحال لا تحصل الا بها ولا يستقيم القلب بدونها كما لا تستقيم الأبدان الا بالحر والبرد والجوع والعطش والتعب والنصب وأضدادها فتلك المحن والبلايا شرط في حصول كمال الانسان . ومنها أن امتحانهم بادالة عدوهم عليهم تمحيصهم

وتخليصهم وتهذيبهم من الذنوب كما قال تعالى في حكمة ادالة الكفار على المؤمنين يوم احد ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين الى قوله وسيجزي الله الشاكرين فذكر أنواعاً من الحكم التي أديل عليهم الكفار بعد أن بشرهم بأنهم الأعلون بما أعطوه من الايمان وسلاهم بأنهم وان مسهم القرح في طاعة الله وطاعة رسوله ثم أخبر أنه سبحانه بحكمته جعل الأيام دولا بين الناس فيصيب كل منهما نصيبه منها كالأرزاق والآجال ثم أخبر أنه فعل ذلك ليعلم المؤمنين منهم وهو سبحانه بكل شيء عليم قبل كونه وبعد كونه ثم أخبر أنه يحب أن يتخذ منهم شهداء فان الشهادة درجة عالية عنده ومنزلة رفيعة لا تنال الا بالقتل في سبيله فلولا ادالة العدو لم تحصل درجة الشهادة التي هي من أحب الأشياء وأنفعها للعبد. ثم أخبر سبحانه أنه يريد أن يمحص المؤمنين من ذنوبهم بالتوبة والرجوع اليه واستغفارهم من الذنوب التي أديل بها عليهم العدو وانه مع ذلك يريد أن يمحق الكافرين ببغيهم وطغيانهم ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنهم دخول الجنة بغير جهاد ولا صبر وان حكمته تأبى ذلك فلا يدخلونها الا بالجهاد والصبر ولو كانوا دائماً منصورين غالبين لما جاهدهم أحد ولما ابتلوا بما يصبرون عليه في بعض الأحيان لا ما يقوله هذا الجاهل الضال. لو كان لهم حق في ذلك لما انقطعوا ولما سلط عليهم الكافر وتمام هذا الكلام انما يتبين بمعرفة أصول نافعة جامعة.

الأصل الأول: ان ما يصيب المؤمنين من الشر والمحن والأذى دون

ما يصيب الكفار والواقع شاهد بذلك وكذلك ما يصيب الأبرار في هذه الدار دون ما يصيب الفجار والفساق والظلمة بكثير .

الأصل الثاني : ان ما يصيب المؤمن في الله مقرون بالرضا والاحسان فان فاتهم الرضا والاحسان فمعولهم على الصبر والاحتساب وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء ومؤنته فانهم كلما شاهدوا العوض هان عليهم تحمل المشاق والبلاء والكفار لا رضاء عندهم ولا احتساب وان صبروا فكصبر البهائم وقد نبه الله على ذلك بقوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم وان تكونوا تألمون فانهم يألمون وترجون من الله ما لا يرجون الآية .

الأصل الثالث : ان المؤمن اذا أوذي في الله فانه محمول عنه بحسب طاعته واخلاصه ووجود حقايق الايمان في قلبه حتى يحمل عنه من الأذى ما لو كان شيء منه على غيره لعجز عن حمله وهذا من دفع الله عن عبده المؤمن .

الأصل الرابع : ان المحبة كلما تمكنت في القلب ورسخت فيه كان أذى المحب في رضا محبوبه مستحلا غير مسخوط والمحبون يفتخرون عند أحبائهم بذلك حتى قال قائلهم :

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت ببالك

وقال آخر :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرى فليلمني اللوم

الأصل الخامس : ان ما يصيب الكافر والمنافق من العز والنصر والجاه دون ما يصيب المؤمنين بكثير بل باطن ذلك ذل وكسر وهوان وان كان في الظاهر بخلافه . قال الحسن رحمه الله وان هملجت بهم البراذين

وطقطقت بهم البغال فان ذل المعصية لفي رقابهم أبى الله الا أن يذل من عصاه .

الأصل السادس : ان ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج به الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ليستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة ومعلوم أن وجود هذا المؤمن خير من عدمه .

الأصل السابع : ان ما يصيب المؤمن في هذه الدار من ادالة العدو عليه وغلبته وأذائه له في بعض الأحيان أمر لازم لا بد منه وهو كالحر الشديد والبرد الشديد والأمراض والهموم والغموم فهذا لازم للطبيعة والنشأة الانسانية في هذه الدار حتى للأطفال والبهايم لما اقتضت حكمة أحكم الحاكمين فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر والنفع عن الضر واللذة عن الألم لكان ذلك عالماً غير هذا ونشأة أخرى غير هذه النشأة وكانت تفوت الحكمة التي لأجلها مزج بين الخير والشر والألم واللذة والنفع والضر وانما يكون تخليص هذا وهذا وتمييز في دار أخرى غير هذه الدار كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب .

الأصل الثامن : انه سبحانه انما خلق السموات والأرض وخلق الموت والحياة وزين الأرض بما فيها لابتلاء عباده وامتحانهم ليعلم من يريده ويريد ما عنده ممن يريد الدنيا وزينتها قال الله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا وقال تعالى انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقال تعالى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخياركم

فالناس اذا أرسل اليهم الرسل بين أمرين اما أن يقول أحدهم آمنت أو لا يؤمن ولا بد من امتحان هذا وهذا فأما من قال آمنت فلا بد أن يمتحنه الرب ويبتليه ليبين هل هو صادق في قوله آمنت أو كاذب فان كان كاذباً رجع على عقبيه وفر من الامتحان كما يفر من عذاب الله وان كان صادقاً ثبت على قوله ولم يزده الابتلاء والامتحان الا ايماناً على ايمانه قال تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايماناً وتسليماً .

الأصل التاسع : وهو أن الانسان بدني بالطبع لا بد له أن يعيش مع الناس والناس لهم ارادات وتصورات واعتقادات فيطلبون منه أن يوافقهم عليها فان لم يوافقهم أذوه وعذبوه وان وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجه آخر فلا بد له من الناس ومخالطتهم ولا ينفك عن موافقتهم أو مخالفتهم وفي الموافقة ألم وعذاب اذا كانت على باطل وفي مخالفتهم ألم وعذاب اذا لم يوافق هواهم واعتقاداتهم ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أسهل وأيسر من الألم المرتب على موافقتهم .

الأصل العاشر : مما ينبغي أن يعلم أن الله عز وجل أرحم بعبده من الوالدة بولدها بل هو أرحم بالعبد من نفسه كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه ومن رحمته به ايصال المنافع والمصالح اليه وان كرهتها نفسه وشقت عليها قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً وقال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون . فارحم الناس من بك يشق عليك في ايصال مصالحك ودفع المضار عنك ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد فانه أعلم بمصلحته فابتلاءه له وامتحانه ومنعه من كثير أغراضه وشهواته من رحمته به لكن

العبد لجهله وظلمه يتهم ربه ولا يعلم احسانه اليه في ابتلائه وامتحانه وقد جاء في الأثر أن الله اذا أحب عبده حماه الدنيا وطيباتها وشهواتها كما يحمي أحدكم مريضه وهذا من تمام رحمته به لا من بخله عليه كيف وهو الجواد الماجد الذي له الجود كله وجود جميع الخلائق في جنب جوده أقل من ذرة في جبال الدنيا ورمالها . ومن رحمته بعباده المؤمنين أن نغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا اليها ويطمئنوا اليها وليرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره فساقهم الى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعافيهم وأماتهم ليحييهم . ومن رحمته بهم أن حذرهم نفسه لئلا يغتروا به ويعاملوه بما لا يحسن معاملته به قال تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد .

فمن تأمل ما ذكرناه من الأسرار وبعض الحكم الالهية في تسليط أعداء الله الكافرين على أولياءه المؤمنين عرف أن ما قاله هذا الجاهل باطل واستدلاله فاسد وحجته داحضة فهذا آخر ما لخصناه من كلام أئمتنا رحمهم الله لمناسبة سياق هذا الفصل والله الموفق لا رب غيره ولا معبود سواه . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فصل وأما قوله أرى من سنتين أو ثلاث ولم يزل من رعاياك اعتقادات فاسدة وأفعال ردية فلازم وواجب على جنابك أن تأمرهم بالأفعال الحسنة الموافقة للشريعة فالى الآن تركوا القنوت والجهر بالتسمية واقفون على أقوالهم وأفعالهم فنقول هذا دليل على جهله وقلة علمه لاطلاقه هذا القول على ترك القنوت والجهر بالتسمية ومن له أدنى اطلاع بما عليه الأئمة من أهل العلم لم تسمح نفسه بهذا القول وما يشابهه وانما الواجب على من كان يدعي العلم دلالة الناس على أداء الواجبات ويبدأ بالأهم فالأهم كالأمر بتوحيد الله في العبادة الذي هو أصل الأصول ومركز

دائرة أهل المنقول والمعقول والقطب الذي يدور عليه الحاصل والمحصول والأساس الذي عليه بناء مدينة العلم الذي فيها النزول والحلول والصراط الذي عليه السير والوصول الى غير ذلك من القواعد الاسلامية والأصول الايمانية وينهاهم عن فعل المحرمات كالاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وقتل النفس التي حرم الله . وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات والفجور وغير ذلك من أنواع الظلم والعدوان . مما قد عمت به البلوى في العباد والبلاد ومن تأمل هديه وسيرته وجد الأمر كما ذكرنا .

وأما مسئلة الجهر بالتسمية والقنوت فهي من مسائل الجزؤيات التي لم يقع بيننا وبين الناس خلاف في ذلك لا سيما المختلف فيها أهل العلم وانما الخلاف بيننا وبينكم عند مسئلة التوحيد والشرك وأمام الكلام الجهر والاخفاء بالبسملة مبني على أن البسملة هل هي آية من الفاتحة أو من كل سورة أو آية مستقلة في أول كل سورة أو أنها بعض آية في أول كل سورة أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها أو أنها انما كتبت للفصل لا انها آية على أقوال للعلماء سلفاً وخلفاً مبسوطاً في مواضعه .

ومن حكي عنه أنها آية من كل سورة الابراءة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وعلي رضي الله عنهم ومن التابعين عطاؤ وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهري وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل في رواية عنه واسحق بن راهوية وأبو عبيد القاسم ابن سلاح رحمهم الله تعالى .

وقال مالك وأصحابه وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وزفر وغيرهم من المالكية والحنفية ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور

وقال الشافعي رحمه الله في قول في بعض طرق مذهبه هي آية من الفاتحة وليس من غيرها وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان .

وقال داود بن علي الظاهري هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها وهذه رواية عن الامام أحمد بن حنبل وحكاه أبو بكر الرازي عن الحسن الكرخي وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله هذا مما يتعلق بكونها من الفاتحة أم لا .

فأما الجهر ففرع على هذا فمن رأى أنها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها وكذا من قال أنها آية في أولها . وأما من قال بأنها آية من أوائل السور فاختلفوا فذهب الشافعي رحمه الله الى أنها يجهر بها مع الفاتحة والسور وهذا مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فجهر بها من الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعاوية ومن التابعين سعيد بن جبير وعكرمة وأبو قلابة والزهري وعلي بن الحسين وسعيد بن المسيب وعطا مطاوس ومجاهد وسالم ومحمد بن كعب القرظي وأبو بكر ابن محمد بن عمر وعمر بن عبد العزيز وأبو الشعثاء ومكحول وأناس غيرهم .

وذهب آخرون الى أنه لا يجهر بالبسملة لما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم رواه أحمد ومسلم وفي لفظ صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم رواه أحمد والنسائي باسناد على شرط الصحيح ولأحمد ومسلم صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب

العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها ولعبد الله بن أحمد بن حنبل في مسنده عن أبيه عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان فلم يكونوا يستفتحون القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم قال شعبة فقلت لقتادة أنت سمعته من أنس قال نعم نحن سألناه عنه وللنسائي عن منصور عن زاذان عن أنس قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعنا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى بنا أبو بكر وعمر فلم نسمعها منهما .

وعن عبد الله بن المغفل رضي الله عنه قال سمعني أبي وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال يا بني اياك والحدث قال ولم أر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان أبغض اليه حدثاً في الاسلام منه فاني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحدا منهم يقولها فلا تقلها اذا أنت قرئت فقل الحمد لله رب العالمين رواه الامام أحمد في مسنده وأبو عيسى الترمذي في جامعه وأبو عبد الرحمن النسائي في سننه وابن ماجة القزويني في سننه فهذا هو الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الراشدين وطوايف من سلف التابعين والخلف ومذهب أبي حنيفة وسفيان الثوري والامام أحمد بن حنبل وذهب الامام مالك الى أنه لا يقرأ بالبسملة بالكلية لا سراً ولا جهراً واحتج بما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا كلهم يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ولمسلم لا

يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها فهذا مأخذ الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة وهي قريبة وأجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر ولله الحمد والمنة ولم ير أحد منهم تعزير من أسر بها كما أنهم لا يرون زجر من جهر بها ولا التشنيع عليه كما يقوله هذا الجاهل بحقيقة العلم وما عليه العلماء وأما القنوت في الفجر فللعلماء فيه ثلاثة أقوال :

القول الأول : ان المداومة عليه سنة وهو مذهب مالك والشافعي ومحمد ابن جرير الطبري الا أن المالكية حكوا عن مالك فيه روايتين هل هو مستحب أو سنة بناء على قاعدتهم ان ترك السنة عمد تعادله الصلاة وحكى محمد بن جرير الاجماع أن تركه غير معيد للصلاة وجعله أصحاب الشافعي من الأبعاض التي يشرع لأجلها سجود السهو وروي عن الحسن البصري أيضاً شرع لتركها سجود السهو .

والقول الثاني : ان القنوت في الفجر منسوخ وان المداومة عليه بدعة وهو قول أبي حنيفة والليث بن سعد ويحيى بن يحيى من المالكية وقالوا لا قنوت في الفجر ولا غيرها من الصلاة واستدلوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قنت شهراً ثم ترك لما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قنت شهراً ثم ترك رواه الامام أحمد وفي لفظ قنت شهراً يدعو على أحياء من أحياء العرب رواه الامام أحمد ومسلم وابن ماجة وفي لفظ قنت شهراً حين قتل القراء فما رأيته حزن حزناً قط أشد منه رواه البخاري .

وعن أبي مالك الأشجعي قال قلت لأبي يا أبت قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ها هنا قريباً من خمسين سنة أكانوا يقنتون في الفجر قال أي بني محدث رواه أحمد

والترمذي وصححه ابن ماجة وفي لفظ أكانوا يقنتون في الفجر وللنسائي ولفظه صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقنت وصليت خلف أبي بكر فلم يقنت وصليت خلف عمر فلم يقنت وصليت خلف عثمان فلم يقنت ثم قال أي بني بدعه وأجاب من استحبه بأن المراد ترك الدعاء لمن سمي وترك الدعاء على من سما الا أنه ترك أصل القنوت بدليل الزيادة التي رواها الداقرطني والحاكم والبيهقي وهي لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا وفي اسناده أبو جعفر الرازي وقد اختلفوا فيه فوثقه يحيى بن معين وعلي بن المديني وأبو حاتم الرازي وقال الفلاس سيء الحفظ وقال النسائي ليس بالقوي وقد صحح هذا الحديث الحافظ أبو عبد الله محمد ابن علي البجلي والحاكم والدارقطني والبيهقي والنوري وغيرهم رحمهم الله تعالى .

القول الثالث : وهو الصحيح أن القنوت يسن عند الحاجة اليه لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يدعو على أحد ويدعو لأحد قنت بعد الركوع فربما قال بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف قال يجهر بذلك ويقول في صلاته في صلاة الفجر اللهم العن فلاناً وفلاناً حيين من العرب حتى أنزل الله ليس لك من الأمر شيء الآية رواه الامام أحمد والبخاري وفي لفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء اذ قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم قال قبل أن يسجد اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم انج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف رواه البخاري .

وعنه أيضاً قال لا قربن بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو هريرة يقنت في الركعة الأخيرة من صلاة الظهر والعشاء الآخرة وصلاة الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم وفي رواية لأحمد وصلاة العصر مكان العشاء الآخرة .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر اللهم العن فلاناً وفلاناً بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون رواه أحمد والبخاري .

وأما القنوت في الوتر فهو جائز ليس بلازم لما رواه الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت وزاد البيهقي ولا يعز من عاديت قبل تباركت . قال ابن النحوي ولا أعلم باسنادها بأسا وادعى النووي في الخلاصة ضعفها . وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقنت بذلك في الصبح . قال ابن النحوي رواه البيهقي باسناد جيد وزاد النسائي وصلى الله على النبي . قال ابن النحوي باسناد حسن فمن الصحابة من لم يقنت ومنهم من قنت في النصف الأخير من رمضان منهم من قنت السنة كلها والعلماء منهم من يستحب الأول كمالك ومنهم من يستحب الثاني كالشافعي وأحمد في رواية ومنهم من يستحب الثالث كابي حنيفة والامام أحمد في رواية والجميع جائز

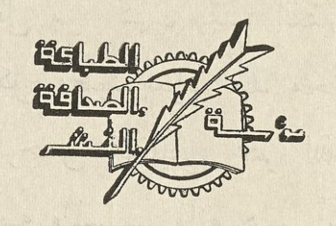
فمن فعل شيئاً من ذلك فلا لوم عليه لاتباع سبيل من كان قبله من هؤلاء الأئمة وقد سئل الامام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام عن الجهر بالتسمية والقنوت في الفجر وغيرها فأجاب رحمه الله بقوله كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعين من بعدهم منهم من يقرأ بالبسملة ومنهم من لا يقرأها ومنهم من يجهر بها ومنهم من لا يجهر ومنهم من يقنت في الفجر ومنهم من لا يقنت ومنهم من يتوضى مـن الحجامة ومنهم من لا يتوضى ومنهم من مس الذكر ومنهم من لا يتوضى ومنهم من يتوضى من مس المرأة بشهوة ومنهم من لا يتوضى ومنهم مـن يتوضى من أكل لحم الجزور ومنهم من لا يتوضى .

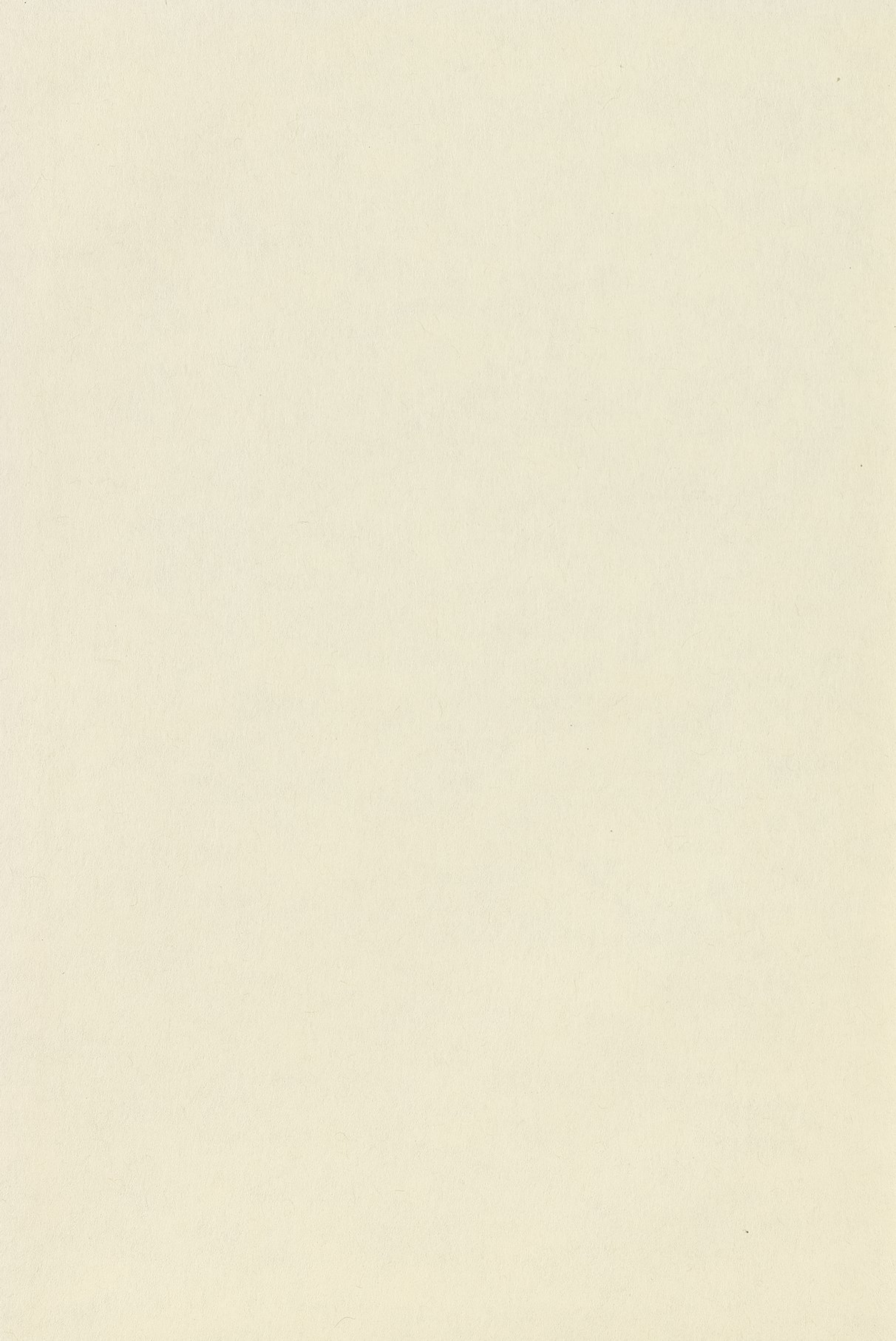
ومع هذا كان بعضهم يصلي ببعض مثل ما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعية وأصحابهم وغيرهم رضوان الله عليهم يصلون خلف أئمة المدينة من المالكيه وغيرهم وان كانوا لا يقرأون البسملة لا سراً ولا جهراً وصلى الرشيد اماماً وقد احتجم وصلى الامام أبو يوسف خلفه وكان الامام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه به رعاف وحجامه فقيل له وان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضى هل تصلي خلفه قال لم لا أصلي خلف الامام مالك وسعيد بن المسيب .

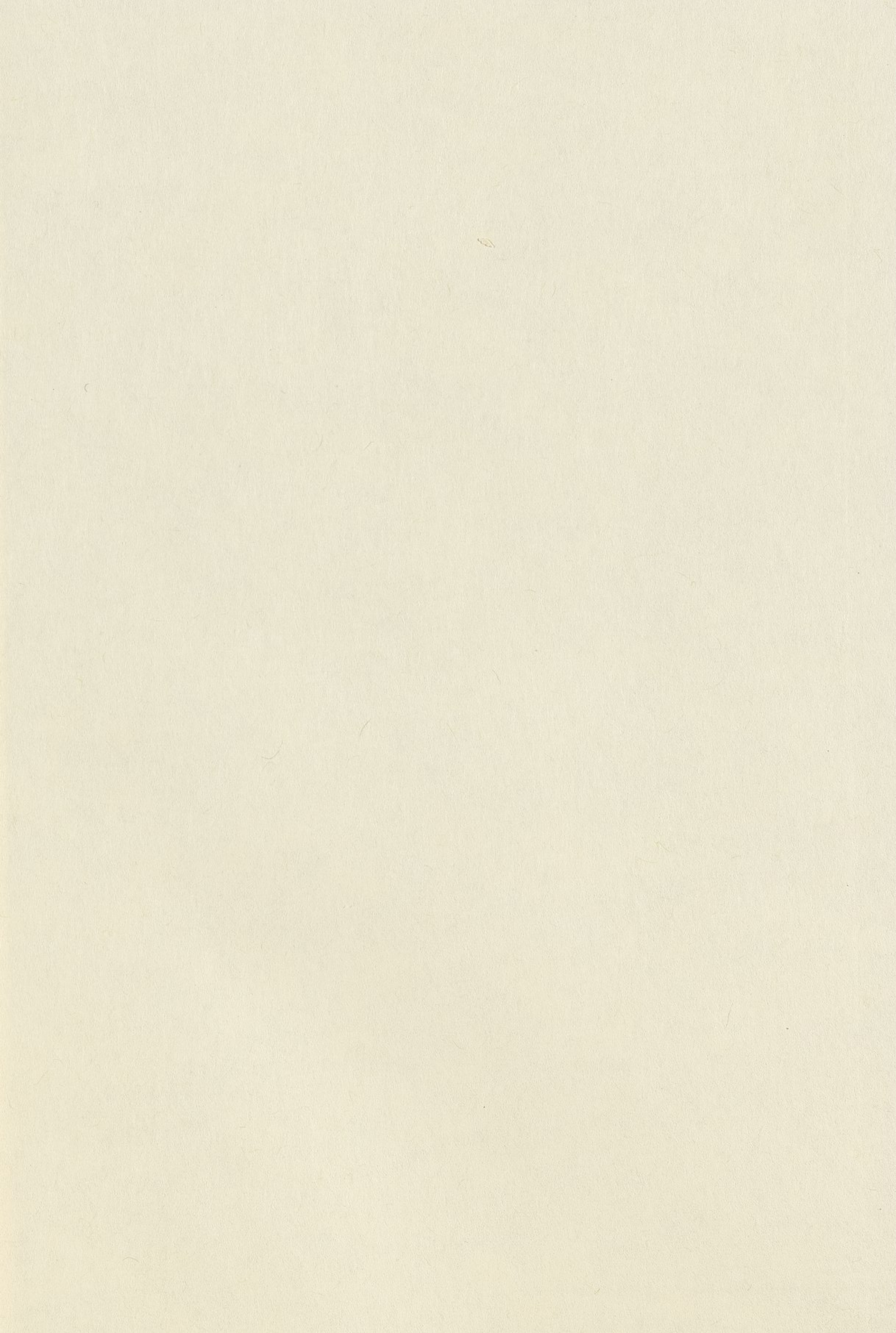
فليتأمل العاقل ما درج عليه السلف الصالح وأهل العلم ويتأمل ما له وهذا الجاهل من التشنيع على من ترك الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر وما يلزمه في قوله ذلك ومما يدلك على معرفة الله وقدرته على تقليب القلوب أنه منذ مدة مديدة وأزمنة عديدة وهو يشاهد من غالب الناس من نبذ الشرائع وتضييع الفرائض وترك الطاعات وفعل المحرمات أشياء تفوق العد والاحصاء وأشهرها عنده الاشراك بالله والقول بتجويزه على الله بلا

علم ومع هذا خرس عن انكاره راض عن فاعله مع تصريح القرآن القرآن بتحريمه قال الله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولواعلى الله ما لا تعلمون آخرها والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمت هذه النسخة المباركة في يوم الأربعاء من
رجب المبارك الذي هو من شهور سنة ١٣١٣
من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة
وأكمل التحية وهي لأحمد بن محمد الكتلاني
رحمه الله داعلى بن كمال بقلم الفقير الى مولانا
المتبري من كل معبود سواه عبد محمد بن عبد
الله بن عبد الرحمن الخليفي غفر الله له ووالديه
ومشايخه وأحبابه والمسلمين انه هو أرحم الرحمن
آمين


الطباعة
الصحافة
النشر






Princeton University Library
32101 062772122